

مجلة الكلمة الطيبة

العدد العشرون

كلمة الكلمة

حزن على مشارف كربلاء

ألف وثلاثمائة واثنان وستون عاماً تمر على معركة الطف، ويطل العام الجديد، الذي نستقبله كسابقاته من الأعوام التي أعقبت تلك الحادثة المفجعة، بالسواد والبكاء والحزن، الذي أطبق على أمة الإسلام وبالخصوص على أتباع أهل البيت (عليهم السلام) منذ أن أرخى ذلك العام الدامي سدوله السوداء الملطخة بالدم الزكي لآخر ابن بنت نبي على وجه هذه الأرض لسنا من المتشائمين، كما قد يظن البعض، إذا ما استقبلنا عامنا الجديد بتلك الهينة، فالحزن أقرب موقع فيه الإنسان للصدق والانتماء والولاء، ولعلنا نلتقي بمستهل هذا العام وفي كل عام جديد، ونحن في أعلى مراتب السمو النفسي والروحي والمعنوي، وبأصدق ما يمكن أن يكون فيه الإنسان من المكاشفية والوضوح، في أن يختار موقعه، أمع الحسين (عليه السلام) (الإنساني بكل معنى الكلمة) بنبله وسموه وشموخته وكبريائه وتضحيته وإثاره وبطولته، أو مع يزيد (اللا إنساني) بخسته وحقه وجبنه وظلمه ولؤمه وإجرامه وضعته، وليس للإنسان إلا أن يختار، فهذا يوم الفرقان. وأينما كنت، فول وجهك نحو شرق الأرض أو غربها، سترى سواداً وحزناً ودموعاً، ولا عجب، فقد حل محرم الحرام، حيث سفك أزكى دم حرام، وول وجهك أنى شئت، ومتى شئت، ستجد الحسينيين في مساجدهم وحسينياتهم وشوارعهم وبيوتهم يقيمون مجالس العزاء على سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) وبشكل مهيب يأسر العقول ويقرع أبواب كل الضمائر الحية، ويشاركهم في ذلك الأحرار والثائرين والمظلومين والمستضعفين والعاشقين لدرب الحرية الحمراء. وإن ما ميز هذا العام هو سعة انتشار ظاهرة تعظيم الشعائر الحسينية في كل أرجاء الأرض، فلا تكاد تخلو بقعة جغرافية في عالم اليوم أو جزء منها بالسواد على هذا المصاب العظيم، الذي صرع فيه سبط الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حيث قدم نفسه وأهله وأصحابه قرباناً للإسلام العزيز ولرسالته الإنسانية العظيمة. ويوماً بعد يوم يحرز دم الحسين (عليه السلام) الانتصار تلو الانتصار، فدم الحسين (عليه السلام) لم يتوقف إذ إنه يتدفق في عروق أصحاب النفوس الأبوية فيحركها بقوة بعد أن يبعث فيها روح التمرد على الظلم وسيوف البغي والتسلط. وما ذاك إلا مصداقاً لكلمة قالتها سيدة كربلاء زينب (عليها السلام): فوالله لا تمحو ذكرنا.

حطت السنة الجديدة رحالها، وأمنياتنا كبيرة في التغيير من سوء حال البشرية والمسلمين بشكل خاص إلى الحال الأحسن والوضع الأفضل، إذ من غير الممكن أن لا تعمر الأمنيات قلوبنا وعقولنا وتتعلق فيها أرواحنا، فعاشوراء رمزاً للحركة والتغيير، وشعاراً للثورة في سبيل الإصلاح والتجديد، ونبراساً لمقارعة الطغاة والمستكبرين ونسفاً للحدود والحواجز التي تقف في طريق رسم مستقبلنا الجديد. نتمنى أن يشعر بالندم، كل من ارتكب خطأ، على أن يتعلم من أخطائه وأخطاء الآخرين، وأن يعوض ما فاتته ويعزم قوي وإرادة صلبة. نتمنى أن تلتئم الجراح بين الناس، وأن تتفق طموحات الشعوب، وتتلاقى الأمناني في السير نحو الهدى، والعيش في

سلام، وأن يجتمع العالم على المحبة والوئام وأن ينتشر التعاون بين أمم الأرض، ويسود العدل، ويسقط الظلم، فنكون من الممهدين لخروج بقية الله الأعظم المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ليملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً. نتمنى أن لا يلجأ العالم بدوله وشعوبه إلى العنف في حل مشاكلهم، وأن يضعوا الصلح نصب أعينهم، على أن لا يتنازلوا عن مبادئهم وقيمهم أو أن ينسلخوا عن دينهم وهويتهم ليعم السلام الذي يقوم على التوازن العادل بين الأمم. ونتمنى أن يحترم الإنسان أخاه الإنسان، لا لشيء إلا لأنه إنسان، وأن يمد القوي يده للضعيف، لا ليؤذيه أو ليقتله، بل لينقذه من مخالب الجهل والفقر والتعاسة. جاء عام جديد، بعد أن تصرم عام، والذي لم يمض حتى أدمى قلوب الحسينيين بارتحال الإمام الكبير السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)، الذي سطر على صفحات تاريخه، الدروس الحسينية في جهاده وهجرته، وعلى علمه وغربته، وشوقه وأمنيته الأخيرة، في زيارة حرم جده الحسين (عليه السلام)، ليصلي تحت قبته الشريفة لكنه رحل ولم يتمكن من تحقيق ما يتمناه، ويحدو هذه الجماهير الحسينية الأمل في أن تكون خطى المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في إعلاء هذه الشعائر الإلهية وتعظيمها، ما يحقق آماني المؤمنين في نشر القيم والمبادئ الحسينية.

أسرة التحرير

محاضرة أخلاقية

الإمام الحسين (عليه السلام) نجاة الإنسانية وإشراقة الهداية

من المحاضرات الأخلاقية لسماحة الفقيه المحقق آية الله السيد صادق الشيرازي

ورد عن الإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء مكارم الأخلاق أنه قال:

(اللهم صل على محمد وآله، وحلني بحلية الصالحين وألبسني زينة المتقين...).

هذه العبارة مقطوعة صغيرة من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.. وقد

ترد أسئلة عديدة في البين منها:

بم يتحلّ الصالحون؟

وما الذي يعتبرونه حلية وزينة لهم؟

يمكن القول بأن حلية الصالحين هي مجموعة الفضائل والمكارم النفسية والجسدية الدنيوية والأخروية، العائلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية كلها، لكننا نرى بعض الناس يعتبر المال حلية له لينادي بالمليونير وهو ليس من الصالحين، لأن الصالحين لا يعتبرون المال حلية، بل هو وسيلة وليس حلية، والبعض الآخر يعتبر السلطة والمنصب حلية له، وربما عمل الصالحون من أجل تحصيل الجاه، لكن كوسيلة وليس كحلية.

وبتعبير آخر فإن الصالحين لا فرق عندهم بين المال والمقام العالي وبين عدمهما لأنهم يعملون لأجل غرض وهدف نبيل يتعدى حدود المقام والمال، ولذلك اعتبروا من الصالحين، وإلا كانوا من أصحاب المال أو الجاه فقط.. وفي مورد دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) وهو يطلب من المولى عز وجل تلك المكارم والفضائل، بالتماس وخشوع واضح فهو لأجل الارتقاء من درجة إلى أخرى أعلى وأجل؛ فهل هذا يعني أن مقام العصمة أو المعصوم يتحلّى بكل حلية صالحة يتلبس بها هذا المقام؟

الجواب: إن في مقام العصمة هناك إمكان الترفع أكثر والانتقال في الدرجات والتوجه الدائم إلى الله سبحانه وتعالى؛ فالإكثار من العبادة يجعلهم يرتقون إلى درجات أعلى؛ إذ إن مقام الرفعة عند الله سبحانه غير مسدود حتى بالنسبة للمعصوم عليه الصلاة والسلام.

وواضح أننا كأنا كإناس عاديّين غير معصومين، يمكن لنا حيازة درجات من الارتقاء نتيجة العبادة والفضائل والمكارم النفسية، ولكننا نرتقي في مقام عدم العصمة، والمعصوم يرتقي في مقام العصمة.

وقد ورد في الآية الكريمة خطاب من الله سبحانه لرسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله) (وإنك لعلى خلق

عظيم)(١).

والأخلاق العظيمة هي حلية من حلية الصالحين؛ فهي مرتبة نالها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بفضل مجاهدته وترفعه، لذا يقول الله تعالى : (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (١). وسعي الإنسان هو في الحقيقة تدرج في مراتب حلية الصالحين، ولا ينسب هذا السعي لفرد آخر، وإنما هو محفوظ للساعي نفسه. وفي الآية الكريمة (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض...) (٢). فمن أراد أن يترفع في الدنيا كحلية وليست كوسيلة للآخرة أو الصلاح في النفس والبدن مع الشؤون المرتبطة بهما من العائلة والمجتمع والحكم والمكارم، فليس هو من الارتفاع والارتقاء وإن كثر ماله أو سلطانه..

فحلية الصالحين مقام واسع جداً، وله درجات كثيرة بعضها فوق بعض وبعضها أكبر من بعض، ومهما جاهد الإنسان وصمَّ وثابر من أجل تحصيلها وبلوغ كمالها، يبقى هناك مجال أعلى وأرفع. فمهما أوتي الإنسان من إخلاص وتقوى أو عمل صالح، تبقى هناك إمكانية الارتقاء أيضاً، لأنه في كل يوم وفي كل وقت وفي كل مكان وفي كل الشروط يواجه الإنسان معارضة في نفسه وفي غيره؛ فلا بد من السؤال والحاجة إلى توفيق الخالق عز وجل والتضرع إليه سبحانه في أن لا يتراجع عن مقامه، ولا يقف عند هذا الحد، وفي الآية الشريفة: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً) (٣).

وفي مضامين الأحاديث الشريفة أن الإنسان إذا ارتقى إلى درجة معينة، وتوقف عندها بنفس النسبة لما يليها من الأيام، فهو مغبون، فإذا ما ارتقى شخص في مراقي الصالحين وبقي في الدرجة الألف، دون أن يرتقي درجة أخرى فوق الألف، فهو مغبون، ففي اليوم الإضافي من عمره هو في خسارة لأنه لم يحصل على شيء من ذلك اليوم، وهذه الدنيا دنيا عمل، كل يوم يمرّ على الإنسان منها فيه عمل وارتقاء؛ فالخسران ليس لمن يفقد الكمال والمعرفة فقط، وإنما لمن بقي أيضاً على مرتبة سابقة من الكمال دون الاستفادة من يومه الجديد، وفي الحديث الشريف: (من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في نقصان ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة) (٤).

مقام الإمام الحسين (عليه السلام)

ما تقدم ملخص مختصر عن المقطع الصغير لدعاء الإمام السجاد (عليه السلام)، وإنما أردنا الوصول إلى مقام الإمام الحسين (عليه السلام) عند الله عز وجل، وعند الناس، لأننا نعيش تلك الأيام واللحظات في شهر محرم الحرام، وما دار على أرض كربلاء، وهي مناسبة أليمة على قلوب جميع الناس، ولا شك أن تلك القطعة الصغيرة من الدعاء تحتاج إلى بحث كبير وواسع رغم قلة كلماتها وهنا نريد القول بأن مقام حلية الصالحين ومقام الرقي تمثل في أئمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم الإمام الحسين (عليه السلام)، فهو خير

١- سورة النجم : الآية ٣٩.

٢- سورة القصص: الآية ٨٣.

٣- سورة فصلت : الآية ٣٣.

٤- بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٣٢٧ باب ٢٥ ح ٥ ط إيران.

مثال يتعلم منه الإنسان.. وفي معرض الكلام أذكر نقطتين:

الأولى: مقام الإمام الحسين (عليه السلام).

الثانية: ما هو الواجب فعله تجاه مقام الإمام الحسين (عليه السلام).

أما مقام الإمام الحسين (عليه السلام) فمن المؤكد أنه يحتاج إلى موسوعة ضخمة لبيان، وحال الإنسان بإزائه كحاله وهو يقف على ساحل البحر، فكيف يبدو أمام هذا العالم الواسع؟ وما البحر في مقابل مقام الإمام الحسين (عليه السلام)؟ فلا يقاس بمقام الحسين (عليه السلام) لا بحر ولا أرض ولا سماء.

الإنسان محدود في بدنه وهو محدود الصلاحيات والقابليات، فعندما يقف على ساحل البحر، والله وحده يعلم ما يحمله من مليارات ومليارات الأطنان من المياه، فيغرف غرفة صغيرة من البحر، ويقول هذا الماء من البحر؛ فهو لا يمكنه أن يسع البحر بأصابع يده.. ونحن كذلك أمام مقام الحسين (عليه السلام)، إذ ننقل لقطات صغيرة من مكارمه وفضائله بحيث يستحيل علينا بهذه الوريقات أن نسع مقامه، ومن تلك العظمة وهذا المقام المرموق، يمكن لنا أن نتعمق في قصة معراج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى السماء.

إن الله سبحانه وتعالى عرج بنبيه إلى السماء، وفي القرآن الكريم لخص ذلك حيث قال تعالى: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)(١).

يعني أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما عرج به إلى السماء، وهو أشرف الأولين والآخرين، أراه الله سبحانه وتعالى آيات كثيرة من قبل خلقه، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) مطلع قبل أن يخلق الله سبحانه الخلق على آيات ربه لأنه سبحانه خلق نور رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونور المعصومين (عليهم السلام) قبل أن يخلق الخلق، ومن ذلك اليوم عرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) آيات الله، لكن الآية الشريفة تقول عند المعراج (لقد رأى) واللام هنا لام القسم، وقد للتحقيق؛ ولقد رأى النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة المعراج (من آيات ربه) و(من) هنا تفيد التبعية، و(آيات ربه) جمع مضاف يفيد بعض آيات ربه، وبقرينة الآيات القرآنية التي فسرت تلك الآيات، وكما ورد في أغلب التفاسير فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد رأى بعض آيات ربه الكبرى، فمن المفسرين من قال أنه (صلى الله عليه وآله) رأى جبرئيل، ورأى نور الله تعالى ورأى مقام الإمام علي (عليه السلام) عند الله سبحانه، ومثل ذلك مذكور في تفسير مجمع البيان أو تفسير الصافي أو تفسير البرهان أو نور الثقلين وإلى غيرها من التفاسير، ولكن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم ير في ليلة المعراج كل آيات ربه لأنه قد رآها وهو نور قبل أن يخلق الله الخلق، فقد رأى في ليلة المعراج بعض آيات ربه، ومنها ما نقل عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «رأيت مكتوباً على يمين العرش أن الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة» وبحسب الظاهر فإن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) رأى بعضها، يعني أن الآيات التي رآها (صلى الله عليه وآله) هي من كبريات آيات الله سبحانه، ومن هذه الكبريات مقام الإمام الحسين (عليه السلام) عند الله سبحانه؛ فعرج بأشرف الأنبياء إلى السماء، من أجل أن ينزل بعدها إلى الأرض، وينقل ما رأى في عروجه وهو مقام الحسين (عليه السلام)، فهل هناك أعظم من هذا الشرف؟! وقد ورد عن الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) أنه قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده أبي بن كعب،

فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله):

مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين، فقال له أبي وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟ فقال: يا أبي والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض فإنه لمكتوب عن يمين عرش الله: (مصباح هدى وسفينة نجاة وإمام غير وهن (خير ويمن) وعز وفخر ونخر...)(١).

وكما أشرنا إلى أن اليد البشرية لا يمكن لها أن تحيط بماء البحر فكذا مقام الحسين (عليه السلام) لا يمكن الإحاطة به وفهم أسراره من قبل العقول المحدودة، إلا أننا استشهدنا بواحدة من مآثر الإمام الحسين (عليه السلام)، وقيمته عند الخالق عز وجل ورسوله الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فكان الحسين (مصباح الهدى وسفينة النجاة)، وفي الحديث بيان لمقامه (عليه السلام) من ناحية الشرف وبيان للمخلوق بأن اتباعه (عليه السلام) هداية ونور يسير في وسطه كطريق مضيء ينتزع منه الأشواك، لأن الشيطان جعل على نفسه أن يقعد في طريق البشر، ويزرع الأشواك، وذلك بجلوسه في طريق المؤمنين؛ (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم)(٢).

فالشيطان موجود في كل مكان، ويتربص بنا في الطرقات، ولكن في اتباع الإمام الحسين (عليه السلام) إنارة لتلك الطرقات التي يجلس فيها الشيطان، أما لو فقد المصباح وانعدمت الإنارة في الطريق، فلا بد للسانر أن يقع في محذورات عديدة؛ إذ لا يمكن التخلص من الأشواك والمخاطر وسط الظلام.

ولكن كيف يكون الإمام الحسين (عليه السلام) مصباح هدى للبشرية جمعاء؟

الجواب: إن سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) وتاريخه وأسلوبه في التعامل مع الناس ومع الطغاة وكلماته، مصباح هدى وسفينة نجاة لمن يتخذ من الأرض طريقاً، ومن البحر طريقاً، فالأرض على قسمين يابسة ومياه وفي كليهما توجد أخطار يحتاج الإنسان في سلوكهما إلى الاهتمام والنجاة منها.

والله سبحانه جعل أهل البيت (عليهم السلام) مصابيح وأنوار يهتدى بها، لكن الإمام الحسين (عليه السلام) نال من بينهم هذه الخصوصية والمقام؛ إذ ينقل أن الإمام الهادي (عليه السلام) كان في سامراء وقد أصابته وعكة فأعطى مبلغاً من المال لأحد أصحابه لكي يسافر إلى كربلاء ويدعو له عند قبر جدّه الإمام الحسين (عليه السلام) بالشفاء، فيقول له صاحبه: ألسنت بإمام معصوم مثل الإمام الحسين (عليه السلام) وتستطيع الدعاء لكي تشفى من المرض؟! تشفى من المرض؟!

فيجيبه الإمام الهادي (عليه السلام): نعم، ولكن الله سبحانه جعل استجابة الدعاء عند قبر جدّي الإمام الحسين (عليه السلام) والله سبحانه هو الذي خلق الأسباب أسباباً والمسببات مسببات تكويناً وتشريعاً.

ولذلك بلغ زهير بن القين وحبیب بن مظاهر ووهب بن حباب الكلبي وغيرهم من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) القمة لأنهم اتبعوا مصباح الهداية، ولو لم يتبعوه لما كانوا بهذه الدرجة والمنزلة والقمة الشامخة، فكان موقف الإمام الحسين (عليه السلام) امتحاناً واختباراً للناس نجح فيه من رأى الطريق وخسر

١- بحار الأنوار : ج ٣٦ ص ٢٠٤ باب ٤٠ ح ٨.

٢- سورة الأعراف : الآية ١٦.

فيه من عمي عليه الطريق.

وقد أفهم الإمام الحسين (عليه السلام) الناس ذلك المعنى في يوم عاشوراء بقوله: (إن الله إبتلانا بكم وابتلاكم بنا)(١).

فإن الله سبحانه اختبر الإمام الحسين (عليه السلام) في ذلك الموقف العظيم وهو في مقام العصمة، واختبر أعداءه أيضاً فكان الموقف اختباراً في اختبار من خلال موقف واحد، يميز فيه الظالم عن المظلوم، والطالب للمنصب أو المال، والناكص عن الوقوف إلى جانب الحق، والإيثار والقرية إلى الله سبحانه.

وعلى مرّ التاريخ كان هناك ظلمة ومظلومون، لكن في مظلومية الحسين (عليه السلام) خصوصية كبيرة؛ لذلك يقول المعصوم (عليه السلام): (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله)(٢) فلا يكون هناك يوم كيوم عاشوراء، ولم يكن هناك يوم سبقه (لا يوم كعاشوراء)، رغم أن يوم استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم عظيم، ويوم استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم عظيم، ويوم استشهاد فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم عظيم، ويوم استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) يوم عظيم، وكل واحد من هؤلاء الأربعة - حسب معتقدنا وحسب تصريح الإمام الحسين (عليه السلام) - أفضل من الحسين (عليه السلام) ولكن يومهم ليس كيوم عاشوراء، فهو يوم فريد من التاريخ، وهو كما أراده الله سبحانه يوم خالد.

(ولا أرض كربلاء) وهذا الحديث موجود أيضاً في الصحاح الستة، حديث مستفيض ولعله متواتر، وكذلك جعل الله سبحانه لأرض كربلاء بفضل الإمام الحسين (عليه السلام)، شرفاً عظيماً إذ إن الله سبحانه وتعالى خلق أرض الكعبة ودحى تحتها الكرة الأرضية، ولذلك سميت مكة بأمة القرى باعتبار أن سائر الأرض منها، فهي الأم، ومنها وجدت كربلاء والنجف والقدس والمدينة وكل الأرضين، والله سبحانه شرف أرض الكعبة فنسبها إلى نفسه وسميت (بيت الله) نسبة تشريفية على الاصطلاح البلاغي.

وفي الأحاديث المستفيضة (فجاءها النداء من الله، أنت أم القرى وأنت متشرفة بالنسبة إلى الله تعالى) وفي مضمون الحديث القدسي: ولكن اسكني.. كربلاء أفضل منك.. لا أرض كأرض كربلاء(٣) فأني مقام نالته أرض كربلاء بفضل تشرفها بالإمام الحسين (عليه السلام) وكما أنه يوجد في الروايات أن الله سبحانه يغفر الذنوب في أول ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك وفي ليلة القدر وليلة عيد الفطر، فإذا لم تصب العبد المغفرة في الليلة الأولى، أصابته في ليلة القدر، وإذا لم تصبه في ليلة القدر، أصابته في ليلة العيد، وإذا لم تصبه في ليلة العيد، فلا توجد مغفرة إلا أن يدرك عرفة، أي يوم عرفة، في زوار الله سبحانه - كما هو موجود في الحديث القدسي (زوار الله) - ولكن الله سبحانه جعل ليوم عرفة منافساً وبديلاً وهو أرض كربلاء، أو حرم الإمام الحسين (عليه السلام)، والتعبير بالمنافس تعبير مجازي في هذا المجال إذ ورد في الحديث الشريف (إن الله في

١- البحار: ج ٥ ص ١١٠ باب ٣٩ ح ١.

٢- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٣٨.

٣- في (كامل الزيارة) ص ٢٦٧ باب ٨٨ ح ٣ عن أبي عبد الله (ع) قال: إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بنى الله بيته على ظهري؟... فأوحى الله إليها، أن كفي وقرّي، وعزّتي وجلالي ما فضل ما فضّلت به، فيما أعطيت به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر..

يوم عرفة ينظر أولاً إلى زوار الحسين) ومن هنا يكون الإمام الحسين (عليه السلام) إماماً لكل البشرية، وليس للشيعة فقط، ولكننا نفتخر بأننا نعتقد بالإمام الحسين (عليه السلام) وندعو الله به كوسيلة للاستفادة من نوره والهداية بمصباحه والنجاة بسفينته.

فبالرغم من أن أعظم أركان الحج هو يوم عرفة (إنما الحج عرفة) وهو من أعظم واجباته، إلا أن الله سبحانه جعل البديل لمن لم يكن في عرفة، في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) والدعاء تحت قبته، كما جعل البديل لمن لم يغفر له في ليلة القدر أو ليلة العيد أو في يوم عرفة بزيارة الإمام الحسين (عليه السلام). والوارد والمشهور في حديث المعصوم (عليه السلام) هو (لا أرض كأرض كربلاء ولا يوم كعاشوراء) وليس ما يدور على ألسنة البعض حالياً أو ما هو مكتوب هنا وهناك.

مسؤوليتنا تجاه الإمام الحسين (عليه السلام)

الكلام في النقطة الأولى من بيان مقام الإمام الحسين (عليه السلام) لا ينتهي بكونه مصباح هدى وسفينة نجاة أو لا يوم كيومه ولا أرض كأرض كربلاء، وإنما مقام الإمام الحسين (عليه السلام) أعظم وأشرف من ذلك ولا يمكن الاعتراف منه بهذه الخلاصة بشكل وافٍ ولكننا نرجع إلى النقطة الثانية من البحث بشأن ما ينبغي لنا أن نعمل، خصوصاً في شهر محرم الحرام اتجاه مقام الإمام الحسين (عليه السلام).. وهنا يمكن التساؤل: لماذا أقدم الإمام الحسين (عليه السلام) على الشهادة؟ حيث كان يمكنه - تشريعاً وتكويناً - أن يدفع القتل عن نفسه؟ أما تشريعاً فقد (أذن الله له) إذ خيرة بين الخروج وعدم الخروج، فلم يكن مجبوراً أو ملزماً بالخروج، فلا إلزام في البين، ولكن الله سبحانه جعل الخروج أرجح؛ فاختر الإمام الحسين (عليه السلام) الأرجح، ولذا في يوم عاشوراء استأذنت الملائكة في الوقوف إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام) والخسف بالأعداء وقتلهم، لكن الإمام الحسين (عليه السلام) من الناحية التكوينية كمعصوم أفضل من الملائكة، وكان بالإمكان استخدامهم ودفع القتل عن نفسه - تكويناً - وتشريعاً يمكنه عدم القتال، لأنه كان من الواجب عليه أن يحج بيت الله الحرام مع الاستطاعة أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بشرائطه، أما أن يقتل فلم يتوجب عليه ذلك..

ولكن الإمام (عليه السلام) وحسب تعبير الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارة الحسين المعروفة: (وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة) وفي هذا المقطع مطالب عديدة لا يسعها المقام، إذ لماذا عبّر الإمام الصادق (عليه السلام) بـ(يستنقذ) وليس بـ(ينقذ) و (عبادك) وليس بـ(عبيدك) ولماذا قدم الجهالة على الضلالة؟ هناك فرق كبير بينهما في اللغة وعند أهل البلاغة، ففي اللغة: (تَقْذُ) بمعنى نجا وتخلص، أما يستنقذ فمن باب الاستفعال بمعنى الطلب؛ يعني يطلب الانقاذ أو يمهّد للانقاذ، أي يقدم معدات ومقدمات للانقاذ.. ويوم مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) لم يعد إنقاذاً، بل العكس، إذ الكثير من المحبين للإمام (عليه السلام) بعد أن رأوا كثرة جيش بني أمية وقدمه لقتل الإمام فكيف بغير الإمام، لذا انسحبوا أو هربوا.. وحتى في ليلة عاشوراء دعاهم الإمام (عليه السلام) بأن يتخذوا من الظلام جملًا، لكي ينسحب من يريد، وبالفعل انسحب من أراد ذلك؛ فلم يكن إنقاذاً وإنما استنقاذ؛ أي تهيئة المقدمات للنصر، وعلينا اتباع تلك المقدمات من عمل واسع، والوقوف بجانب الحق وعدم اتباع الظالم، فهي مقدمات للنصر، وإن كان النصر في الواقع حليف الإمام الحسين (عليه السلام):

ظنوا بأن قتل الحسين يزيدهم لكنما قتل الحسين يزيدا

القتل في الواقع لم يكن للإمام الحسين (عليه السلام) لأن تعاليمه كانت مناراً ووجوده مخلداً بين الناس، ففي كل بيت وفي كل بقعة من بقاع الأرض، يذكر ويقام له المأتم ويذكر اسمه، أما يزيد فقد مات واندثر ولم يبق له غير اللعنة، ولا أثر له يذكر فقد قتل الإمام الحسين (عليه السلام) باستشهاده كل بني أمية وكل الظالمين، ليمهد الطريق أمام الناس بالقيام بوجه الظالم، واتخاذهم علماً ومصباحاً منيراً يهدي الثانرين إلى أهدافهم؛ فعلينا أن نهتدي بسيرته ونتخذ الإصلاح في المجتمع درباً يزينه اسم الإمام الحسين (عليه السلام)، فإنه (عليه السلام) لم يخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرج لطلب الإصلاح في أمة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعلينا أيضاً أن نعظم الشعائر الحسينية بكل قوة وفي كل مكان لتحيا بها الأرض كما تحيا بها السماء.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين ورحمة الله

وبركاته.

مقالات

هذا هو الإمام الحسين (عليه السلام)

ولد الإمام الحسين (عليه السلام) بالمدينة المنورة في الثالث من شعبان سنة أربع للهجرة، أي بعد سنة من ولادة أخيه، ولما ولد، جيء به إلى جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستبشر به، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وحنكه بريقه، فلما كان اليوم السابع، سماه حسيناً، وعق عنه بكبش، وأمر أمه أن تحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره فضة.

كان أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، واسع الجبين، كث اللحية، واسع الصدر.

نشأ في ظل جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فكان هو الذي يتولى تربيته ورعايته.

كنيته ولقبه

أبو عبد الله، لقبه: الرشيد، الوفي، الطيب، السيد، الزكي، المبارك، سيد شباب أهل الجنة، السبط.

أولاده وبناته

الإمام زين العابدين (عليه السلام)، علي الأكبر، جعفر، عبد الله. أما بناته سكينه وفاطمة، ورقية.

النص عليه بالخلافة

روى علي بن يونس العاملي في كتابه الصراط المستقيم نص أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على الحسين (عليه السلام) كما مر في الحسن (عليه السلام)، ثم قال: وروي: أن الحسن أوصى إلى أخيه عند وفاته، ودفع إليه موثيق النبوة، وعهود الإمامة، ودل شيعته على استخلافه، ونصبه لهم علماً من بعده، وذلك مشهور لا خفاء به (١).

وجاء في وصية الإمام الحسن (عليه السلام) لأخيه محمد بن الحنفية لما حضرته الوفاة: يا محمد بن علي،

أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي، ومفارقة روعي جسمي، إمام من بعدي، وعند الله في الكتاب الماضي وراثته النبي (صلى الله عليه وآله) (١).

عفوہ (عليه السلام)

جنى له غلام جنائية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب.

فقال: يا مولاي (والكاظمين الغيظ).

قال: خلو عنه.

قال: يا مولاي (والعافين عن الناس).

قال: قد عفوت عنك.

قال: يا مولاي (والله يحب المحسنين).

قال: انت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك (٢).

إحسانه (عليه السلام)

جاء أعرابي الى الحسين (عليه السلام) فقال: يا ابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل اكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال الحسين (عليه السلام): يا أخا العرب اسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي وأنت من أهل العلم والشرف؟

فقال الحسين (عليه السلام): بلى، سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: المعروف بقدر المعرفة.

فقال الأعرابي: سل عما بدالك، فإن أجبت وإلا تعلمت منك ولا قوة إلا بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): أي الأعمال أفضل؟

فقال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): فما النجاة من الهلكة؟

فقال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): فما يزين الرجل؟

١- بحار الأنوار ١٠/١٤٠.

٢- الفصول المهمة ١٥٩ كشف الغمة ١٨٥.

فقال الأعرابي: علم معه حلم.

قال: فإن أخطأه ذلك؟

فقال: مال معه مروة.

قال: فإن أخطأه ذلك؟

فقال: فقر معه صبر.

فقال الحسين (عليه السلام): فإن أخطأه ذلك؟

فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه. فإنه أهل لذلك.

فضحك الحسين (عليه السلام) ورمى له بصرة فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم

وقال: يا أعرابي اعط الذهب الى غرمانك، واصرف الخاتم في نفقتك.

فأخذ الأعرابي ذلك وقال: الله اعلم حيث يجعل رسالته (١).

وفي قصة أخرى دخل الحسين (عليه السلام) على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول: واغماه.

فقال (عليه السلام): وما غمك يا أخي؟

قال: ديني، وهو استوى ألف درهم.

فقال (عليه السلام): هو عليّ.

قال: إني أخشى أن أموت قبل أن يُقضى.

فقال (عليه السلام): لن تموت حتى اقضيها عنك، فقضاها قبل موته (٢).

عبادته

كانت أوقاته (عليه السلام) كلها عبادة وجميعها طاعة، فكانت أوقاته حلقات متصلة لله وفي الله.

عن أنس بن مالك قال: خرجت مع الحسين (عليه السلام) فأتى قبر خديجة فبكى، ثم قال: اذهب عني يا

أنس.

قال: فاستخفيت عنه، فلما طال وقوفه في الصلاة سمعته قائلاً:

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| يا رب يا من أنت مـولاه | فأرحم عبيدا اليك ملجاه |
| يا ذا المعالي عليك معتمدي | فطوبى لمن كنت أنت مولاه |
| طوبى لمن كان خادماً أرقا | يشكو الى ذي الجلال بلواه |
| وما به علة ولا سقـم | أكثر من حبه لمـولاه |
| إذا اشتكى ذنبه وغصته | اجابه الله ثم لبـاه |
| إذا ابتلى بالظلام مبـتهلاً | أكرمه الله ثم ادنـاه |

١- اعيان الشيعة ٤/ ١٢٩.

٢- اعيان الشيعة ٤/ ١٢٦.

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| نودي عبدي لبيك انت في كنفي | وكلما قلت قد علمناه |
| صوتك تشتاقه ملائكتي | فحسبك الصوت قد سمعناه |
| دعائك عندي يجول في حجب | فحسبك السر قد سافرناه |
| لوهبت الريح من جوانبه | خر صريعاً لما تغشاه |
| سلني بلا رغبة ولا وهب | ولا حساب إني أنا الله (١) |

من سيرته

لما قدم معاوية مكة وصله بمال كثير، وثياب وافرة، وكسوة وافية، فرد الجميع عليه، ولم يقبله منه، وهذه سجية الجواد، وشنشنة الكريم، وسمة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم (٢) و لما مات ابن له فلم تر عليه كآبة، فعوتب في ذلك فقال: إنا أهل البيت نسأل الله فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما نحب رضينا (٣).

ويقول مسعدة: مر الحسين بن علي (عليه السلام) على مساكين قد بسطوا كساءً لهم، والقوا عليه كسراً، فقالوا: هلم يا ابن رسول الله، فتنى وركه، فأكل معهم، ثم تلى (ان الله لا يحب المستكبرين) ثم قال: قد اجبتكم فاجيبوني.

قالوا: نعم يا ابن رسول الله.

فقاموا معه، حتى اتوا منزله، فقال للجارية: اخرجي ما كنت تدخرين (٤)

من أجوبته (عليه السلام)

سأله نافع بن الأزرق وهو من رؤساء الخوارج: صف لي إلهك الذي تعبد.
فقال (عليه السلام): يا نافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس، ماثلاً ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج ضالاً عن السبيل، قانلاً غير الجميل.
يا ابن الأزرق: صف إله بما وصف به نفسه: لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير مستقصى، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال.
فبكى ابن الأزرق وقال: ما أحسن كلامك (١).

١- بحار الأنوار: ١٠/١٤٤.

٢- مطالب السؤول ٧٣ الفصول المهمة ١٥٩ نفس المهموم.

٣- اسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ١٨٣.

٤- بحار الأنوار ١٠/١٤٣.

- وسأل (عليه السلام): لم افترض الله على عبده الصوم؟
فقال (عليه السلام): ليجد الغني مس الجوع فيعود بالفضل على المساكين (٢).
وكتب اليه رجل من أهل الكوفة: يا سيدي اخبرني بخير الدنيا والآخرة؟
فكتب (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن من طلب رضي الله بسخط الناس كفاه الله أمور
الناس، ومن طلب رضي الناس بسخط الله، وكله الله الى الناس والسلام (٣).

حكمه ومواعظه (عليه السلام)

- قال (عليه السلام): شر خصال الملوك: الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عن الإعطاء.
- وقال (عليه السلام): لرجل اغتاب عند رجلاً: يا هذا كف عن الغيبة، فإنها أدام كلاب النار.
- قال لابنه علي بن الحسين عليه السلام: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله جل وعز.
وقال (عليه السلام): من حاول امرئاً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لما يحذر.
وقال (عليه السلام): إياك وما تعتذر منه، فإن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر.
وقال (عليه السلام): الاستدراج من الله سبحانه لعبده أن يسبغ عليه النعم ويسلبه الشكر.
وقال (عليه السلام): إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار. وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة
العبيد. وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة.

من وصاياه (عليه السلام)

من وصية له (عليه السلام) لاخته العقيلة أوصاها بها ليلة عاشوراء:
يا إختاه: اتق الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وإن كل شيء
هالك إلا وجهه تعالى، الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فرد وحده. جدي خير مني، وأبي
خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولكل مسلم برسول الله (صلى الله عليه وآله) أسوة.
يا أختاه: أقسمت عليك فابري قسمي: لا تشقي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل
والثبور إذا أنا هلكت.

شعره (عليه السلام)

قال (عليه السلام):

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طراً قبل أن تتفلت

١- تاريخ ابن عساكر ٣٢٣/٤.

٢- المنافق ١٩٣/٢.

٣- بحار الأنوار: ١٥١/١٧.

ولا البخل يبقئها إذا ما تولت (١)

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت

وقال (عليه السلام):

فلا تجنح الى الخلق

إذا ما عضك الدهر

تعالى قاسم الرزق

ولا تسأل سوى الله

من الغرب الى الشرق

فلو عشت وطوفت

ر أن يسعد أو يشقي (٢).

لما صادفت من يقدر

١- تاريخ ابن عساكر ٣٢٥/٤.

٢- كشف الغمة: ١٨٥.

مقالات

الإمام الحسين (عليه السلام): عالمية الثورة والاعتناق الإنساني

مقدمة

ينظر الإسلام الى الإنسانية بوصفها وحدة واحدة، استخلفت على هذه الأرض لإعمارها، وعبادة الله وطاعته وأداء دورها في تحقيق إرادة الله وكلمته وشريعته.

(هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١).

ومن منطلق وحدانية الخالق، ووحدة الخلقة والمنشأ ومن موقع العبودية لله واستخلافه للإنسان على هذه الأرض، ثم مسؤولية الإنسان أمام الله تعالى وحسابه له إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة: ٧ - ٨).

فلا فرق بين انسان وآخر، وإن معيار (الخيرية) الإلهي هو في التقوى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣).

وعلى هذا الأساس كانت البشرية أمة واحدة (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)، وقد انقسمت الإنسانية الى شعوب ومجتمعات وقبائل وان هذا الانقسام في الحقيقة هو انقساماً شكلياً بدليل انه يأتي من جانب الاختلاف الواقع في اللون او اللغة او المكان، او مواطن اختلاف أخرى لا ترتبط بالقيمة الإنسانية وانما ترتبط بالجوانب الشكلية فقط. وهذا السبب هو الذي يعطيها صفة اللاجوهية أو الهامشية لذا نرى تفاوت ملحوظ في مساحة تواجدها في فكر وعقل الناس بين مكان وآخر، وان هذا التفاوت يخضع لخلفيات تاريخية وفكرية واجتماعية ونفسية وسلوكية.

فالإسلام شريعة الله ودين الفطرة، جاء وفقاً لما أودع الله في هذا الوجود من سنن وموازن، لذا فمن الطبيعي أن تأخذ مسألة (الوحدة الإنسانية) مفهوماً ومنطقاً وهدفاً المساحة الكبيرة من اهتماماته قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣).

وقد عبّر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن النظرة الحقيقية للإسلام بقوله: (الناس صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

ومن هنا فإن الناس - بغض النظر عن الدين أو المعتقد - يشتركون في حق الوجود وحفظ الكرامة وحرية الاعتقاد والتعبير، أما تقسيم الإمام (عليه السلام) الناس الى صنفين، فالذي يعنيه ان الجميع يشتركون في تلك الحقوق، أما الذي هو على الدين نفسه فله حقوق أخرى.

الأصل الحرية في الإسلام

يعتبر الإسلام ان حرية الإنسان حق فطري، بقوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (الأعراف: ١٥٧)

ويرى الإسلام، ان الحرية حق يفوق سائر الحقوق، انها مثل حق الحياة وحق المعيشة، كما انها - الحرية - تمثل مع حق الحياة، الأساس الأول للحقوق الأخرى، ولعل هذه المسألة هي أعظم وأروع ما تميز به الإسلام ويكاد يتفرد به - عن غيره.

فالله سبحانه وتعالى ومن خلال الآية (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) يطلق معنى الحرية وفق الموازين والسنن الكونية الشرعية.

ويذكر أحد خصائص النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بانه يضع عن الناس (الأصـر) أي الالتزامات المفروضة على الإنسان المشتملة للكثير من العقائد والخرافات الباطلة، والقيود الاجتماعية الخاطئة، والأغلال. وقد أشار جورج جرداق في كتابه (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) الى الصرخة المدوية لأمير المؤمنين علي (عليه السلام): (لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً).

ويذهب الأستاذ الكبير جورج جرداق، الى ان عبارة امير المؤمنين (عليه السلام) تنطوي على شيء فريد هو ضمانته التنفيذ.. إذ يضع الحرية جزءاً من الفطرة التي فطر الناس عليها.

ويعتبر الإسلام ان منع الحريات عن الإنسان (والتي هي من الحقوق الشرعية المسلمة للفرد المسلم عملاً محرماً، ومن أشد المحرمات شرعاً، فان من أشهر القوانين الفقهية في الإسلام والتي قد تعد من ضروريات الدين الإسلامي هو قانون (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم) أي لهم كامل الحريات باستثناء المحرم منها(١).

لذا فالإسلام يعتبر ان التوجه في (العمل او القول) ضد الحرية، في الحقيقة هو توجه ضد أمر إلهي، ولذلك فانه - الإسلام - يلزم المؤمنين التحرك السريع والفعال لمواجهة هذا الانحراف الذي يسلب المجتمع حريته والذي بدوره يقتضي سلبه حياته ووجوده وحقه في حفظ كرامته وإنسانيته.

ثورة الحسين (عليه السلام) المصداق الأول لرفض الظلم

لا شك ان واقعة الطف الدامية، في إعلان الإمام الحسين (عليه السلام) ثورته على طاغية عصره يزيد وظلم بني أمية الذي وقع على الأمة بأبشع صورة حيث المعركة الدامية سنة ستين للهجرة هي من أهم الأحداث التي حصلت في تاريخ الإسلام منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله). بل لعلها الى جانب خلافة علي بن ابي طالب (عليه السلام) اهم ماحدث في الإسلام بعد غياب الرسالة والى يومنا هذا وحتى ما شاء الله.

ذلك ان هذه الثورة كانت تهدف الى استعادة الإسلام الحقيقي، بعد أن حوّلت السلطة الأموية الى مجرد شكل خارجي بدون مضمون، فأعاد الإمام الحسين (عليه السلام) طرح المضمون نفسه، فكان ما طرحه مرجعاً لكل

١- الإمام الشيرازي (قدس سره): روى عن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) ص ٣٤.

من حاول ويحاول فهم الإسلام الإصيل.

ولما كانت ثورة الحسين (عليه السلام) تكتسب هذه الأهمية في الإسلام، حيث انها انطلقت من الإسلام ومع الإسلام للوصول الى حاكمية الإسلام، فكانت ثورة عالمية استمدت عالميتها من عالمية الإسلام نفسه، ونظراً لما يشكله الإسلام على صعيد الاعتناق الإنساني، فإن هذه الثورة تصبح ذات أهمية عالمية خطيرة.

ولا يمكن لنا ان ندرك حقيقة هذا الحدث التاريخي وبكامل أبعاده إذا اقتصرنا على الفهم التقليدي لثورة الحسين (عليه السلام)، على انها مجرد ردة فعل على سلطان جائر متجاوز لحدود الله، بل لابد لنا من أن ندرك أهمية التهديد الذي شكلته السلطة الأموية للدين الحنيف. فعند انطلاق الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة المكرمة باتجاه الكوفة أوصى (عليه السلام) أخاه محمد بن الحنفية بما أراد ان يوصيه به، ثم قال له: (اني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله) أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر واسير بسيرة جدي (صلى الله عليه وآله) وسيرة أبي علي بن أبي طالب). هذا الإعلان شكل البرنامج السياسي لثورة الحسين (عليه السلام) فهو (عليه السلام) يبين من خلال إعلانه المنطلق الذي يبدأ به والمنهج الذي يسير عليه والهدف الذي يسعى ويبدل له دمه وولده وأهله وصحبه وكل غال ونفيس من أجل تحقيقه.

حركة الإمام الحسين (عليه السلام) وتحرير الإنسان

يهدف الإسلام الى تحرير الإنسان في حياته المادية والفكرية في هذا العالم، ذلك التحرير الذي يرفع الفرد والجماعة من ذل العبودية الشاملة للإنسان الى رحاب عبادة الله تعالى بكل ما يعنيه ذلك من اعتناق، يقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: ٤٨).

والشرك بالله هو اتخاذ الأرباب مع الله، أي عبودية الإنسان للإنسان كإله، وبفهم أوسع إذ أن كل مخالفة لأحكام الله تصدر من الإنسان خوفاً من انسان أو تقرباً لإنسان هو في الحقيقة شرك، وهذا ما عناه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ يقول (إن يسير الربا شرك).

إن الإنسان المسلم الذي أعلن طاعته لله وعبوديته له تعالى مخلصاً له الدين عليه أن لا يعترف بأية عبودية لأية سلطة إلا لله، ولا بطاعة إلا الطاعة لله تعالى أو للسلطة القائمة بأمر منه، أي تلك التي تتأسس وفق ما أراد الله وعلى ضوء المفاهيم القرآنية وما بينته السنة النبوية الشريفة.

لذا فإن الإنسان في ظل حاكمية الإسلام يتحرر من كل أنواع الولاء إلا ما كان لله تعالى، ومن هنا فإن كل أنواع وصنوف الاستبداد والتحكم وأشكال السلطة محرمة. مالم تكن متوافقة مع ما أراده الله تعالى، بأن يعيش الإنسان حراً لا قيد على سلوكه إلا أحكام الله وحدوده التي بينها في كتابه الكريم، وهي التي تضمن سعادة الإنسان في الدنيا والنجاة في الآخرة.

لذا ومن أجل إعادة سلطة الله وحكم القرآن، قام الإمام الحسين (عليه السلام) بثورته للسيرة بسيرة جده محمد (صلى الله عليه وآله) وأبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذين جسدا النموذج الذي أراده الله للإنسان وفي كل المواقع التي يتواجد فيها، وخاصة موقع السلطة. فأقام الحدود بكل وعي وصدق حيث أمكن ذلك.

فالحسين (عليه السلام) يعتبر كما هو عند الرسول (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة (عليه السلام) والحسن (عليه السلام).

إن الإمامة في آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله)، بالنص الإلهي وبصريح إبلاغ الرسول (صلى الله عليه وآله) في غدير خم، وهذا ما كان يؤكده الأئمة في كل مناسبة، وهذا ما أعاده الحسين (عليه السلام) على مسامع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامل السفينيين على المدينة، عندما دعاه لمبايعة يزيد حيث قال: (أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، ومعدن الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم).

كما أنه (عليه السلام) وجه كتاباً إلى أهل البصرة حثهم على النهوض جاء فيه: (أما بعد فإن الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله) على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به (صلى الله عليه وآله) وكنا أهله وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس. وقد كشف الحسين (عليه السلام) للناس حقيقة يزيد، فقال للوليد بن عتبة بن أبي سفيان:

(يزيد فاسق، ملعن للفسق، شارب للخمر، قاتل للنفس المحرمة، ومثلي لا يبايع مثله).

وقد أعاد (عليه السلام) هذا (الحكم) أكثر من مرة على مسامع مروان بن الحكم ثم عبد الله بن الزبير، وكان يعلن أيضاً أن يزيد بالإضافة إلى ذلك (يلعب بالكلاب والقروذ ويبغض بقية آل الرسول).

كما إن الإمام الحسين (عليه السلام) قد وصف في خطابه لأصحابه وأصحاب الحر حال بني أمية (إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وحلوا حرام الله وحرموا حلاله).

وقال (عليه السلام) في خطبة له يحرّض فيها الناس على قتال بني أمية والاستشهاد دون ذلك: (إن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جداً فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء وخسيس العيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فاني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً).

وعليه، فإن مبررات الثورة قائمة والتكليف الشرعي بقتال السلطة الأموية متحقق الشروط دفاعاً عن الإسلام الحقيقي الذي أقامه الرسول (صلى الله عليه وآله) ومارسه علي (عليه السلام) ووعد به الحسين (عليه السلام).

فالإسلام الذي جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو اسلام التحرر والاعتناق من ربقة العبودية للسلطة الاستبدادية الجائرة التي تتسلط على أموال الناس وأرواحهم بدون حق.

الحسين (عليه السلام) والفكر الإنساني

إن تعلق الحسين (عليه السلام) بالإنسان كإنسان والتزامه بخلاصه وسعادته تبدو في أجمل صورة عندما بكى (عليه السلام) وهو ينظر إلى جيش عمر بن سعد، فسأله أخته زينب (عليها السلام): (أتبكي يا أخي؟ فقال: والله ما على نفسي بكيت، بل على دخول هذه الجموع إلى النار).

لقد كان الحسين (عليه السلام) يبكي لدخول أعدائه النار وهو الذي كان يسعى لإقامة مجتمع الاعتناق على الأرض، هذا المجتمع الذي تسوده الحرية والمساواة والكفاية.

فالإسلام ألغى الحقوق التي كان يفرضها الملوك والسلاطين والأباطرة على الناس وحرّياتهم وأموالهم، وحدد حقوق الله على الإنسان بوضوح. فبعد أن كان الحاكم يعامل الرعايا على أنهم مملوكون له بالجملة، يقتل منهم من يشاء في سبيل الحفاظ على عرشه وربما في سبيل ما هو أتفه من ذلك، ويسوقهم إلى السخرة ليعملوا أحياناً حتى الموت، ويصادر أرزاقهم ما يشاء كلما دعت حاجته.

لقد أتى الإسلام ليمنع أية سلطة للحاكم إلا تلك التي يمارسها بأمر من الله لإقامة حدود الله، فأزال سلطان الحاكم على الأرواح والأرزاق والحرّيات وقامت محله حقوق الله والجماعة وفي سبيل الحفاظ على هذه المكاسب أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال، قتال الكافرين والمرتدين والمنافقين لا سيما الطغاة والظالمين لما يشكّلونه من خطر على الدين الحنيف وعلى الوجود الإنساني وكرامة الإنسان.

ومن أجل ذلك نهض الإمام الحسين (عليه السلام) بتلك النهضة العظيمة مقدماً نفسه الزكية وأولاده وإخوته وأصحابه في واقعة دامية مروعة، أعطى فيها الحسين (عليه السلام) كل ما يملك من أجل الإنسان وحرّيته وكرامته وتخلّى فيها أعداء الحسين (عليه السلام) عن كل ما يمتُّ للقيم الإنسانية والأخلاق والمبادئ السامية من صلة.

مقالات

دور المجالس الحسينية في حفظ الإسلام وتفعيل حركة التغيير

كثيرة هي الأحاديث التي تحت على احياء وتعظيم الشعائر الحسينية وكل ما يرتبط بالإمام الحسين (عليه السلام) والحضور عند ضريحه المقدس، والتوجه نحو قبره الشريف من أي مكان في العالم وفي كل يوم، وقد يصل عدد هذه الأحاديث إلى عدة آلاف على رأي عدد كبير من المحققين.

ولعل ما يميز هذه الأحاديث ويلفت النظر إليها هو جزيل الثواب المقدر لمن يسعى لإقامة واحياء تلك الشعائر ومن يواظب على الحضور فيها، وقد جاءت تفسيرات مختلفة فيما يتعلق بهذا القدر العظيم من الثواب ولعل من أقرب التفسير للواقع وأكثرها نضجاً وعمق رؤية هو التفسير الذي يذهب إلى ارتباط هذا الثواب العظيم بطبيعة المدلولات السياسية لحركة الشعائر ودورها لا سيما في عصر النص.

فالشيعة كانت في ذلك الوقت أقلية مستهدفة من قبل سلطات قوية، ومن ثم كانت بحاجة إلى إطار قوي يرتكز على خلفية تشريعية راسخة، حتى تستطيع أن تشق لنفسها الطريق وتفرض حضورها في إطار اجتماعي متميز، فكان الدور للشعائر الحسينية للقيام بالنهضة للدفاع عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الذي يمثل خط الإسلام الأصيل بنص الروايات المتواترة عن الرسول (صلى الله عليه وآله).

اضطهاد الشيعة

يكتب احد الباحثين المعاصرين عن أثر النهضة الحسينية مشيراً إلى معطيات تلك النهضة ما نصه: (وإن الباحث في تاريخ الشيعة في العصر الأموي يرى أن واقعة سنة ٦١ هـ قد وحدت صفوف الشيعة، وأثارت في نفوسهم الحماسة للأخذ بثأر الحسين بن علي، كما أذكت مأساة كربلاء روح التشيع بعد أن كان رأياً سياسياً نظرياً لم يصل إلى قلوب الشيعة، ولكن التشيع امتزج بعد مقتل الحسين (عليه السلام) بدمانهم وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم .

ويتحدث لنا التاريخ وبكل أسف عن بني امية، انهم كانوا يبثون العيون والارصاد بين صفوف الشيعة، وقد اضطهد بنو امية الشيعة اضطهاداً شنيعاً، فدرسوا للإمام الحسن (عليه السلام) السم، ثم قتلوا الحسين (عليه السلام) في واقعة كربلاء الدامية وحديث الرسول (صلى الله عليه وآله) تواتر وشاع على ألسن المسلمين:

(الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة)

وقوله (صلى الله عليه وآله): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا).

ولم يكتف بني أمية بذلك بل لاحقوا أتباع أهل البيت يستذلونهم ويقتلونهم، ويقطعون أيديهم وأرجلهم على الظنة، إذ أن كل من عرف بتشيعه لأهل البيت (عليهم السلام) سجنوه أو نهبوا ماله أو هدموا داره، وقد اشتد

بهم الأمر في أيام عبيد الله بن زياد (قاتل الحسين) كما أن الحجاج الذي أتى بعد عبيد الله بن زياد عمل سيفه بالشيعية الوقائع الدموية المفجعة، وكان يأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له أنه من شيعة علي (عليه السلام).

إن القمع الهمجى المنظم ضد الشيعة كان يصدر من سلطة رسمية عليا تهدف إلى استئصال آل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم والقضاء عليهم قضاءً مبرماً.

يكتب المدائني (وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة) كما كتب أيضاً: (انظروا إلى من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه). (الشيعة والحاكمون، ص ٢٧٥).

يقول الإمام الباقر (عليه السلام): (وقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب أو هدمت داره) (ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ١٥).

وعندما هلك معاوية وتبوأ يزيد السلطة كتب إلى عامله على العراق عبيد الله بن زياد يرسم له الخط العام للنهج الذي يجب عليه أن يسلكه: بلغني أن حسيناً قد قصد من مكة متوجهاً إلى العراق، فاترك العيون عليه، وضع الارصاد على الطرق، واحبس على الظنة، واقتل على التهمة.

ولقد التزم عبيد الله بن زياد بتعاليم سيده حرفياً وزاد عليها، فكان مما خطب به أهل الكوفة والتي سميت بالخطبة البتراء لأنه لم يذكر الله في أول خطبته ولم يحمده أو يصلي على النبي (صلى الله عليه وآله): (لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه، ولأخذن الأدنى بالأقصى، حتى تسمعوا لي ولا يكون فيكم مخالف ولا شاق).

ويذكر المسعودي أعمال الحجاج بن يوسف الثقفي: (تأمر الحجاج على الناس عشرين سنة، وأحصى من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه، فوجد منه عشرون ألفاً، ومات الحجاج وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، منهم ستة عشر ألفاً مجردة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب (المسعودي ج ٣، ص ١٧٥).

أما العهد العباسي فقد اكتسبت سياسة القمع والارهاب طابعاً اجتماعياً أوسع حيث سعت السلطات إلى الغاء التمايز بين خط الولاء وغيره، وسعت لبناء مجتمع يكون انتماء افراده (المسلمين) مغلفاً وموال لها.

دخل ابراهيم بن هرثمة المدينة المنورة فأتاه علوي فسلم عليه، فقال له ابراهيم:

(تنح عني لا تشط بدمي) (تاريخ بغداد، ج ٦، ص ١٢٧).

كما يحدثنا التاريخ بعدد من الوقائع إن بعض الناس قد تنكر من تسمية عوانلهم لهم بأسم علي، فبعض هؤلاء كان يظهر للولاية وممثلي السلطة إن أهله قد عقوه حين سموه علياً، وبعضهم كان يحرم على الآخرين تسميته أو مناداته علياً، ومن ذلك ما ينقل عن علي بن رباح أنه قال: لا أجعل في حل من سماني علياً فإن اسمي علي (بضم العين).

وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق جاء دور يوم الحسين (عليه السلام)، والرصيد العظيم الذي تنطوي عليه مراسم الإحياء الحسيني ليوفاً (القوة الدافعة والمحركة) التي تغني المجتمع الشيعي وتمده بعناصر القوة

والصمود وتغذيته بأسباب المقاومة والبقاء. انطلاقاً من انه كتلة عضوية متماسكة، وليس مجرد فلول وافراد مهزومين نفسياً.

ترسيخ القيم في المجتمع

ان سياسة القمع والبطش والتنكيل والإلغاء لم تتوقف - وان تفاوتت درجتها - على مر العقود المنصرمة، وكان لا بد من مواجهة ذلك التيار الجارف الذي لا يعرف حرمة قتل النفس بغير حق ولا الحقوق التي اعطاها الله للمرأة ولا رعاية لطفل صغير ولو كان رضيعاً، فقد كان هذا العدو مجرداً من كل القيم والمبادئ الإنسانية. ومن المعلوم ان المبادئ والقيم لا يمكن لها ان تتأصل في نفوس المجتمع، ويلتزم بها الناس فكراً وسلوكاً ومنهجاً وهدفاً، إلا عبر خطط وبرامج ومنهجية معينة ليكون البناء سليماً وصالحاً وحقيقياً وليس مجرد طقوس جوفاء لا معنى لها في نفس مؤيديها وليس لها عليه أي قوة ضابطة أو موجهة.

وإذا لم تتوافر تلك الخطط والمناهج التي ترسخ تلك القيم في المجتمع، تصبح تلك القيم والمبادئ مجرد أفكار تتخذ مكاناً في العقول لكنها منفصلة عن واقع الحياة وممارسات المجتمع، حيث الهدف النبيل من وضعها هو خدمة الإنسانية جمعاء.

لذا، فرض الإسلام العبادات ، لتكريس تلك القيم والمبادئ والاحكام عند الناس وتحويلها إلى طاقة محركة، تتمثل بممارسات وشعائر وطقوس.

ومن الصحيح ان هذه العبادات من الواجبات، لكنها ليست هدفاً بذاتها، وانما هي رياضة نفسية وروحية للوصول الى الكمال المعنوي، فالصلاة والزكاة والخمس والصيام والحج وسائر العبادات والفرائض والشعائر الدينية ليس مقصوداً منها حركاتها وشكلياتها وانما ما تخلفه وتنشئه من عملية تطهير وتنقية وتركيز للنفس. انها عملية ترويض يقول امير المؤمنين علي (عليه السلام):

(انما هي نفسي اروضها بالتقوى).

وقد اشار القرآن الكريم لهذه الحقيقة، فقد بين في اكثر من موطن الغاية الحقيقية للعبادات: قال الله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (العنكبوت: ٢٩).

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣).

وقوله تعالى: (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج: ٣٧).

فإذا حدثت هناك فجوة بين النظرية والتطبيق وبين العبادات والقيم التي هي الهدف الحقيقي لتلك العبادات والتي بها يصل الإنسان الى الله ويجسد من خلالها عبوديته لرب العالمين.

كما نرى انه قد وردت عدد من الأحاديث الشريفة التي توبخ الذين يجعلون فجوة بين العبادات والهدف الحقيقي لها.

فقد قال (صلى الله عليه وآله): (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر) (ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٤٦٩).

ويقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظم، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء، حبذا نوم الأكياس وفطارهم). (ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٤٦٩).

وقد وصف القرآن الكريم الإنسان الذي يبتعد بنفسه وعبادته عن الأهداف المتوخاة من فرض تلك العبادات، يقول الله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ* فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) (الماعون: ١ - ٥). ولعل قصة المرأة التي كانت تؤذي جارتها وما قاله لها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): فيها الكثير من العبر والعظة تستدعي التأمل فيها والتفكير في مغزاها.

فقد سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) امرأة تسب جارة لها وهي صائمة فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطعام فقال لها: (كلي فقال: انا صائمة يا رسول الله! فقال (صلى الله عليه وآله): كيف تكونين صائمة وقد سببت جارتك؟! إن الصوم ليس من الطعام والشراب وانما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول، ما أقل الصوم واكثر الجوع) (ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٤٦٩).

المجالس الحسينية

ومن الشعائر التي حافظت على خط الإسلام الأصيل وعمقت جذوره في نفوس وقلوب وعقول المسلمين، ووقفت سداً منيعاً أمام التيارات الجارفة التي كان يسلطها الطغاة والمتجبرين بسيوف ظلمهم واجرامهم وأهوائهم تجاه المستضعفين والأحرار، تلك هي الشعائر التي تخلد يوم وأي يوم، انه يوم لا يوم كمثلته، انه يوم أبي الأحرار وسيد الشهداء الحسين (عليه السلام).

ان الهدف الحقيقي للشعائر الحسينية إضافة الى تعميق المفاهيم الحسينية التي اطلقها الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء وتخليد واقعة الطف في ذاكرة الأجيال المتعاقبة هو تنمية روح الرفض والمقاومة للباطل والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل الله وتعبيد طريق الحرية واقامة العدل ومقارعة الظلم والظالمين والطغاة المتجبرين والذي يستوجب اراقه الدماء ولو كانت تلك الدماء كدم الحسين (عليه السلام).

ان الشعائر التي تقام في شهري محرم وصفر، حيث تجتمع الحشود الغفيرة من الموالين لآل محمد (عليهم السلام) وتحت لواء سيد الشهداء الحسين (عليه السلام)، وثورته الخالدة، لينهلون منها ما جاد به ابطالها من مواقف تقف لها الإنسانية بكل اجلال واكبار، وما سطروه فيها من ملاحم ومشاهد دلت على صدق الانتماء ونبيل التضحية وسمو القيم والأفكار ونقاء الأنفس وصفاءها.

فالشعائر الحسينية هي الامتداد الحقيقي لتلك الثورة، فما كان لثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ان تتناقلها الألسن وتخترننها العقول وتتشبث بها القلوب، كل القلوب التي لم تلوثها الآثام والذنوب والانحرافات والأهواء وما ينفثه شياطين الجن والأنس. وعبر اجيال متعاقبة حتى وصلت إلينا، إلا من خلال هذه الشعائر والتقاليد العظيمة، وهي ذاتها التي غرست في نفوس الشيعة روح المقاومة للظلم والظالمين وتجسيدهم لمقولة انتصار الدم على السيف، فميزتهم عن سائر الفرق والمذاهب الأخرى.

ولم تنشأ هذه المراسم وتنتشر على مساحات واسعة من العالم من خلفية عفوية، او لانها قد اصبحت مجرد عادات وتقاليد متوارثة والذي نجده في كثير من الشعوب، بل هي أعمال تعبدية لله تعالى ومن جهتين:

١ - لما أوجبه الله تعالى من رفض الظلم ومقارعة الظالمين، وإن من فروع الإسلام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ - لما أوجبه الله على العباد من طاعة محمد وآله (عليهم السلام) والالتزام بأمرهم والانتهاز بنهيهم فهم (أولوا الأمر) الذين أوجب الله طاعتهم، كما أمرنا بمحبتهم (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى: ٢٣).

إن الشعائر الحسينية لم تأت عن فراغ بل جاءت من خلال رؤى ومنهج وضعه المعصومين (عليهم السلام)، في سبيل بعث القيم والتي نادوا بها في نفوس أشياعهم. وقد تواترت الأحاديث الكثيرة عن الأئمة (عليهم السلام) التي تحت الموالين على عقد الشعائر الحسينية والتشجيع على إقامتها.

عن الإمام الرضا (عليه السلام): (من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب بنا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة ومن ذكر مصائبنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبك العيون ومن جلس مجلساً يحیی فيه امرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) (الشعائر الحسينية ص ٤٤، للشهيد السيد حسن الشيرازي).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من دمعت عينه فينا دمة، لدم سفك لنا، أو حق لنا نقصناه، أو عرض انتهك لنا، أو لأحد من شيعتنا بواه الله تعالى بها في الجنة حقبا) (نفس المصدر، ص ٤٥).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذكروا في أمرنا فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله بهما الملائكة فإذا اجتمعتم فاشتغلتم بالذكر فإن في اجتماعكم ومذاكرتكم أحياءنا وخير الناس بعدنا من ذكرنا ودعى إلى ذكرنا) (نفس المصدر ص ٥٧).

الشعائر الحسينية وحركة التغيير

إن الشعائر الحسينية مصدر قوة وإلهام للموالين لأهل البيت (عليهم السلام) وبنفس الوقت هي المحرك الفاعل لتفعيل عمل ونشاط الإرادة الفردية والجماعية في المجتمع الشيعي للسعي الجاد والحديث لحفظ الكيان والتطلع لتحقيق الأهداف التي استهدفها الحسين (عليه السلام) في ثورته.

كما أن - والتاريخ المعاصر يثبت ذلك - هذه الحلقات التي تعقد في إطار الشعائر الحسينية ومسيرات العزاء، كم تدب في قلوب الطغاة والظالمين - وسواء كانوا من المسلمين أو من غير المسلمين من خوف ورعب.

ولأن تلك التجمعات هي نشاطات جماهيرية (عفوية) وبدون إشراف حكومات أو مؤسسات، فإنها تشكل مصدر خطر في نظر الأنظمة الدكتاتورية والظالمة.

كما أن ما يطرح في الشعائر الحسينية من أطروحات ومفاهيم وقيم من وحي واقعة الطف، وتجاوب الحضور النفسي والقلبي والفعلية بما ينسجم مع أهداف ثورة الحسين (عليه السلام)، وما تولده من تعميق تلك المفاهيم في عقول الناس، يعطي طابع عمق الموالاة والتفاني بالإخلاص وصدق الانتماء عند الحشود المسلمة لقيم ثورة الحسين (عليه السلام).

وأيضاً فإن المجالس الحسينية لها وظائف وفوائد اجتماعية عظيمة، فإن في اجتماع الناس في وسط أحزان آل محمد (عليهم السلام) ومصائبهم المفجعة، يجعل الناس يتناسون خلافاتهم ومشاكل حياتهم الهامشية، والالتفات إلى المشاكل الحقيقية وقضايا الأمة المصيرية. كما أن ما يرافق هذه الشعائر من أطعام وتبادل

الزيارات من خلال التواجد في أماكن عقد المجالس الحسينية، يزيد في تعميق العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المسلم كما ويوطد العلائق الاجتماعية بينهم القائمة على أساس المودة والرحمة ويسودها الشعور بالتعاون والتكافل في طريق البر والتقوى.

ان من الممكن تحويل هذه التجمعات الحاشدة والمنتشرة في معظم بقاع العالم الى مشاريع تغيير واصلاح وتجديد، لا سيما ان من ضمن الحاضرين (النخب) من المجتمع وعلماء الدين والمفكرين وأصحاب الأقالام وغيرهم، إضافة الى مختلف شرائح الناس، وان تتبلور هذه التجمعات الى أشبه ما تكون بالمؤتمرات لطرح ومناقشة قضايا الأمة المصيرية والمشاكل الداخلية والخارجية التي تعاني منها الأمة. ومحاولة إيجاد السبل الكفيلة التي تسعى في حلها او التخفيف من آثارها.

وتشيع هذه المجالس المفهوم العظيم للآية الكريمة (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) بين أوساط الحشود، والسعي لبث روح التعاون للقضاء على المشاكل المختلفة، وخاصة، من باب النظرة الموضوعية للمشاكل الاجتماعية والأخلاقية، كالفقر والمرض والجهل والعزوبية وتأخير الزواج ومشاكل الطلاق وحقوق المرأة، والاهتمام بالشباب، ورعاية الأطفال وتنشئتهم النشأة الصالحة السليمة، وتكريس الجهود لانتشال (البعض) من الانحراف والفساد والشبهة كما تشكل الحشود المقاومة - السليمة - للقضاء على أصحاب أماكن الفساد والانحراف والمروجين لهما.

كما ينبغي استثمار المجالس الحسينية لتعزيز الوحدة بين صفوف الأمة بمختلف مذاهبها وتوجهاتها الفكرية والدينية والسياسية من اجل خلق مجتمع موحد قوي يسعى لاقامة دولة يسودها القانون ويعمها السلام والأمن ويتمتع أهلها بالحرية ويتطلعون الى مستقبل زاهر.

وعلى الذين يقيمون المجالس الحسينية ان يضعوا نصب اعينهم، كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) عبر ثورته المقدسة التي تعبر عن هموم المستضعفين الذين ينشدون الحرية واقامة دولة العدل، فمثلاً حدد الإمام الحسين (عليه السلام) مظاهر الانحراف، فقد شخص طريق الخلاص حيث يقول (عليه السلام):

(ألا ترون الى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً فاني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً).

وقوله (عليه السلام): (ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس ابية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا واني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر).

وهذه الكلمات التي نطق بها الإمام الحسين (عليه السلام) تحمل من الدلالات ما يجعلها برنامج عمل دائم للمسلم في كل عصر ومصر.

وحري بنا نحن العاشقون للإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ان نتخذه (عليه السلام) منهجاً وسلوكاً، وان تتجسد اهداف ثورة كربلاء من خلال الشعائر الحسينية التي نحرص على اقامتها، لتصبح بذلك الامتداد الحقيقي والفعال في بعث روح التغيير في المجتمع والارتقاء به الى أعلى مراتب الكمال الروحي والمعنوي.

مقالات

المرأة ... والنهضة الحسينية

قبل أن نلقي الضوء على دور المرأة في النهضة الحسينية المباركة، نرى من المستحسن أن نشير إلى الخطوط العريضة التي سنوجز الكلام فيها كنسيج أساسي لكلامنا في هذا المقام لإبراز دور المرأة في الثورة الحسينية وما كان لها من عطاء وبذل وفداء في حدث من أعظم الأحداث في تاريخنا الإسلامي، وذلك لما سجل من حضور فاعل حي تجاوز حدود الزمان والمكان ليخلد في ضمير الإنسانية دون أن تظاله عوادي الأيام.

ومن أبرز المحطات التي نتوقف عندها في هذا المجال هي:

- ١ - نشاط المرأة في الرسالة الإسلامية ودور الإسلام في تفعيل هذا النشاط.
- ٢ - حضور المرأة في الثورة الحسينية وما تحملته من مسؤوليات جسام.
- ٣ - واجبات المرأة المسلمة في احياء ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته بكل ما تنطوي عليه من معاني سامية، وقيم اخلاقية نبيلة مع التركيز على الجانب النسوي فيها.

اهتمام الإسلام بالمرأة

بات من المسلمات المتفق عليها في الدراسات التاريخية والاجتماعية، أن الإسلام احدث ثورة اجتماعية واسعة الأبعاد، منتشرة الأطياف شملت كل نواحي الحياة وعلى جميع الأصعدة والمستويات، وكان الفرد والمجتمع هو الهدف الأساسي لهذه الثورة الحضارية، حيث اعتبرت التغيرات التي احدثها الدين الجديد، اساسية وجذرية إلى حد حمل بعض الباحثين والكتاب أن يطلق عليها اسم الزلزال الاجتماعي.

وما لا يقبل الشك والمراء اهتمام الرسالة الإسلامية بالمرأة دونما أي فارق بينها وبين الرجل، وانما كان الخطاب الإسلامي في القرآن والسنة النبوية وحديث أهل البيت، موجهاً إلى الجنس البشري لاستئثاره مكان عقله واستفزاز مواهبه وتفجير كنوز فطرته.

وقد ترتب على هذا التوجه الإسلامي تفاعل بناء لقيم الإسلام في شخصية المرأة المسلمة، مما احدث انقلاباً هائلاً ونوعياً في حياة المرأة في كل البقاع التي استظلت بجناحي هذا الدين القويم.

وفي إطلالة قصيرة على سماء تاريخنا الإسلامي الزاخر، نلاحظ بكل جلاء نجوماً ساطعة من نساء مسلمات مؤمنات تحملن أعباء ثقيلة في مسيرة هذا الدين، وأدين رسالة كبرى، وكتبن اسماءهن بحروف من نور على صحائف التاريخ البشري.

كانت مساهمة المرأة المسلمة في دائرة الإسلام الواسعة تشمل جميع أبعاد هذه الدائرة.

ففي السبق إلى الإسلام، كانت خديجة بنت خويلد زوج النبي (صلى الله عليه وآله) سباقة إلى الإيمان فهي

أول مسلمة ومؤمنة صلت خلف النبي (صلى الله عليه وآله) بلا خلاف، ثم واصلت مسيرة العطاء والبذل والإيثار فكانت وعلي (عليه السلام) للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الستر والعضد وقد شاركاه (صلى الله عليه وآله) ولوحدهما في بداية الدعوة ونزول الوحي هموم النهوض والتبليغ بالدين الجديد.

قال ابن اسحاق في سيرته: كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان لا يسمع شيئاً من ردٍ عليه، وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلا فرج عنه بخديجة رضي الله عنها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقته، وتهوّن عليه أمر الناس (١).

ثم جاء دور الزهراء (عليها السلام) والتي كانت بحق سيدة نساء العالمين فمثلت النموذج الأول والمثل الأعلى للمرأة المسلمة المؤمنة، التي سمت الى قمة المكارم وذروة المعالي والدرجات العليا من الإيمان والتضحية، فكانت أم أبيها والحانية عليه فشاركته في آلامه وهمومه واشتركت معه في بعض غزواته على صغر سنّها. وقد أشار البيهقي الى بعض مشاركتها (سلام الله عليها) في أحد، فقال في دلائل النبوة: خرجت نساء المهاجرين والأنصار، فحملن الماء والطعام على ظهورهن، وخرجت فيهن فاطمة بنت رسول الله، فلما أبصرت أبيها والذي به من الدماء اعتنقته، وجعلت تمسح الدماء عن وجهه (٢).

كما كان لكثير من النساء المسلمات مواقف مشهودة في ميادين وساحات متعددة اثبتن فيها جدارة ومقدرة وكفاءة فائقة.

ومما يشار إليه في ذلك على صعيد الإيثار والعطاء ما روي عن إحداهن أنها اتت بكل حليّها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ليستعين بها على بعض شؤون دينه، كما فعلت (خيرة) امرأة كعب بن مالك (٣). ومن النماذج التي تذكر في هذا الإطار ما كان من أم عمارة الأنصارية ومواقفها البطولية في أحد وغيرها. فقد روي أنها قاتلت في أحد وأبليت بلاءً حسناً، وجُرحت اثنتي عشر جرحاً، وكانت تحمل عصائب في حقويها استعداداً للعناية بالجرحى، يقول أحد أبنائها وقد جرح: فتقبل أُمي إلي ومعه عصائب في حقويها وقد أعدتها للجراح فربطت جرحي، والنبي ينظر إلي، ثم قالت: انهض بني فضارب القوم، فجعل النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: (ومن يطيق ما تطيق أم عمارة) (٤).

نماذج من نساء الطف

تجسدت قيم الإسلام وتعاليمه وأخلاقه في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، حتى قيل أن الإسلام تجلى في يوم عاشوراء بكل أبعاده وأصوله وذلك في أفعال وأقوال ثلّة من أهل البيت (عليهم السلام) وأنصارهم رجالاً ونساءً وأطفالاً وشباباً وشيوخاً.

وكان نصيب المرأة في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وافرّاً ومسؤوليتها كبرى وجهادها عظيماً،

١- سيرة ابن هشام: ٧٧ / ٢.

٢- دلائل النبوة للبيهقي: ٢٨٣ / ٣.

٣- أسد الغابة: ١٠١ / ٦.

٤- طبقات ابن سعد: ٣٠٤ / ٨.

ومتشعباً، حيث لعبت ادوراً مختلفة في مراحل متعددة، سبق بعضها أحداث الثورة وكان بعضها الآخر في خضم الثورة وتفاصيل وقائعها، وامتد دور المرأة إلى زمن ما بعد الثورة بعد أن أدى الرجال رسالتهم، فصرعوا إلى جانب الحسين (عليه السلام) في عرصات كربلاء.

وقد نقلت لنا صحائف التاريخ عدداً من تلك المواقف المشرفة الخالدة عن زوجة زهير وهي تحرض زوجها على اللحاق بالحسين (عليه السلام) بعد أن تردد في ذلك عندما جاءه رسول الحسين (عليه السلام) يطلب نصرتَه (١) وكذلك كان موقف زوجة حبيب بن مظاهر الأسدي في دفعه لنصرة الحسين (عليه السلام) وموازرتَه.

كما يحدثنا التاريخ عن بعض الأمهات اللواتي دفعن أبنائهن إلى خضم المعركة دفاعاً عن الحسين (عليه السلام) ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وذوداً عن حرمة آل البيت كما فعلت أم وهب مع ولدها وهو في ريعان شبابه وكان حديث عهد بالعرس.

ودفعت امرأة أخرى بولدها الذي لم يبلغ الحلم إلى المعركة. بعد أن سقط أبوه شهيداً، وحينما حاول الإمام الحسين (عليه السلام) منعه قائلاً: إن أباك قُتل في المعركة وأخشى أن لا ترغب أمك في القتال، قال: سيدي إن أمي هي التي قلدتني حمائل سيفي (٢).

وإذا ما تجاوزنا الجميع لنقف وقفة إجلال وإكبار بين يدي زينب العقيلة بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) وربيبه الزهراء البتول (عليها السلام) واخت السبطين الحسن والحسين (عليه السلام)، لنرى ما سطرته هذه الأسطورة الهاشمية واللبوة العلوية من مواقف بطولية أذهلت العدو قبل الصديق حتى امتلأ فم الزمان بالثناء العاطر، والأحذوثة الجميلة عن سيدة نشأت وترعرعت في بيت النبوة وحجر الإمامة والطهارة والعصمة فاكتسبت كل معاني السمو الروحي والعظمة والجلال، فجسدتها في كربلاء بطولة وشجاعة وصبراً على الملمات والنوائب، وتحملت لكل المسؤوليات التي أُلقيت على عاتقها بعد أن أدى الإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه ما عليهم فرحلوا شهداء أعزاء.

وقد ابتدأت زينب (عليها السلام) مواقفها البطولية بعد مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) وهي تلقي درساً بليغاً، لتعلم الجميع أهداف الحسين (عليه السلام) ونهضته وعظمة شهادته، حينما وضعت يديها تحت الجثمان الطاهر قائلة: (اللهم تقبل منا هذا القربان).

ثم واصلت من هناك رحلة الجهاد حاملة في قلبها الكبير أهداف الحسين (عليه السلام) متسلحة بشجاعة علي (عليه السلام) وبلاغته وعلمه حتى أفحمت الطغاة المتكبرين في مواطن متعددة، فأعادتهم أقزماً كما هو واقعهم، ومن أهم تلك المواقف دخولها على ابن زياد في الكوفة أسيرة وكان شاباً نزعاً فأراد أن يظهر الشماتة وينتشي بنصره، ولكن زينب سلام الله عليها القمته حجراً حينما حاول استفزازها.

روى ابن كثير في البداية والنهاية، وابن الأثير في الكامل، طرفاً من حوار العقيلة (عليها السلام) مع ابن زياد ومن أهم ما جاء فيه قوله:

١- حياة الحسين للقرشي: ٦٧/٣.

٢- الشهيد والثورة للسيد هادي المدرسي: ٢٢٨.

ودخلت زينب ابنة فاطمة في أرذل ثيابها وقد تنكرت وحُف بها إمامها على عبيد الله بن زياد، قال: من هذه المتنكرة؟ فلم تكلمه، فقال بعض إمامها: هذه زينب بنت فاطمة، فقال: الحمد لله الذي فضحك وقاتلكم وكذب احدثتكم، فقالت: بل الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، قال: كيف رأيت صنع الله بآل بيتكم؟ قالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجوك إلى الله، فغضب ابن زياد واستشاط (١).
كان يزيد يردد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فبادرته زينب (سلام الله عليها) بالقول بعد الحمد والثناء:

صدق الله سبحانه حيث يقول: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ) (الروم: ١٠). أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا اقطار الأرض وآفاق السماء، فاصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وإن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمتك بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً.. فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً، انسيت قول الله تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران: ١٧٨) (٢).

المرأة و احياء ثورة الحسين (عليه السلام)

تفردت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) بعدة خصائص ميزتها عن غيرها من الثورات، كما أن شخص الحسين وذكره منفرد هو الآخر في سجل الخالدين والعظماء:

فيا أيها الوتر في الخالدين فذاً إلى الآن لم يشفع

وسيبقى الحسين (عليه السلام) وترّاً لا شفع له، ولا نظير في كل ما يتعلق به وبخصائصه.

ومن أهم تلك الخصائص هذا الحضور الدائم والمستحكم في ضمير الإنسان الحر وفي وجدان الإنسان المسلم عموماً والسائر على خط أهل بيت النبي (عليهم الصلاة والسلام) على وجه الخصوص.
ومن أبرز أسباب هذا الحضور الممتد مع توالي الأجيال والعصور ما كان من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) واتباعهم في إقامة ذكرى الحسين (عليه السلام) و احياء معالم نهضته من خلال الاحتفال السنوي بهذه الذكرى العظيمة والأليمة.

وعلى هذا الأساس عاش الإمام الحسين (عليه السلام) مع الأجيال يغذيها بكل قيم الإسلام وأخلاقه وبكل معاني الإباء والشرف والإيثار والتفاني، حتى تحول إلى حاجة دائمة لكل شرائح المجتمع وفي كل مجالات الحياة.

فأي مصلح لا يحتاج للوقوف بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام) ليتعلم منه الشرف والنبيل والإخلاص في حركته الإصلاحية حينما كان يردد في مسيره (لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب

١- البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٥/٨.

٢- حياة الإمام الحسين للقرشي: ٣/ ٣٧٨.

الإصلاح في أمة جدي).

وأى طالب للحرية والاعتناق من الذل والعبودية لا يستلهم الدرس العظيم من الحسين (عليه السلام) وهو يملأ أجواء الدنيا بصيحته المدوية قائلاً: (لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد). وأي مقدم على الشهادة والتضحية يستغني عن قول الحسين (عليه السلام): (لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً).

وخلاصة القول فإن كل عنصر من عناصر الثورة الحسينية يمثل مشعل نور وعلم هداية يشير إلى الإنسانية جمعاء أن الطريق القويم والسبيل المستقيم يمر عبر هذه المواقف ومن خلال فهم هذه الشخصيات العملاقة. وقد كان لنساء أهل البيت - وهن القدوة لنساء هذه الأمة في كل عصر وزمان - قدماً ثابتة ودوراً أساسياً في هذا الحدث المدوي، يقول الباحث أحمد خليل جمعة: (إن نساء أهل البيت النبوي الطاهر، هن صفوة الصفوة من نساء الدنيا، نستلهم من سيرهن عيبر الفضائل، ورحيق الإيمان، وكريم الشمانل، ففي سيرة كل واحدة منهن ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من عظيم الصفات وحמיד المكرمات)(١).

وعلى هذا الأساس لابد أن نفهم مدى حاجة المرأة المسلمة إلى أن تضع نصب أعينها نساء أهل البيت الطاهر كقدوة حسنة في كل دقائق حياتها وسلوكها كأم وزوجة وأخت، وكعنصر فاعل في مجتمع إسلامي يتطلع إلى تحقيق أهداف السماء بالتزامه مبادئ الإسلام كرسالة خاتمة متكاملة.

وإذا كان لنساء أهل البيت هذه المكانة السامية في شتى مناحي الحياة الإسلامية فقد كانت لهن - بقيادة العقيلة زينب (عليها السلام) - أدواراً تعد القمة والذروة في تاريخ المرأة الجهادي التي رفع الإسلام من شأنها لتتحمل مسؤوليتها الرسالية إلى جنب الرجل على حد سواء.

ومن هنا تبرز الحاجة واضحة وماسة إلى نشاط نسوي حثيث يتناسب مع حجم الثورة الحسينية من جهة، وحاجة المرأة المسلمة إلى قيم تلك الثورة وأهدافها من جهة أخرى، حتى لا يقتصر إشعاع الثورة وأثرها على العنصر الرجالي ويبقى محدوداً وضيقاً في عالم المرأة وحياتها.

فلابد من نشر الوعي والثقافة الإسلامية بكل تفاصيلها من خلال منبر نسوي هادف، واعداد كوادر نسائية على قدر من العلم والمعرفة والتدين والأخلاق، لتؤدي دوراً رائداً في شد المرأة المؤمنة إلى ثورة الحسين (عليه السلام) وأشخاصها وخاصة النسوية منها، لتعلم المرأة أنها قادرة على أن تنهض بدور مشرف وبتاء في أعقد ظروف الحياة وأحلكها، وإنها مسؤولة عن مقارعة الظلم والطغيان، كما كانت زينب (عليها السلام) وإخواتها ونساء الحسين (عليه السلام) في كربلاء والكوفة والشام، بالإضافة إلى الدور التثقيفي والتوعوي الذي يلعبه المنبر الحسيني الذي تحول إلى جامعة إسلامية متنقلة تحمل فكر أهل البيت (عليهم السلام) بكل ما يحمل من نقاء وصفاء، وبكل ما يحمل من ثورة ورفض.

ومع هذه الهجمة الثقافية الشرسة ووسائل الإعلام الضاغطة، يصبح من الواجب على كل ذي قدرة وموقع يمكنه أن يتحرك من خلاله أن يعمل على تطوير وتوسيع الوسائل المتاحة والتي من شأنها أن توصل صوت الحسين (عليه السلام) في حركته وكلماته وزينب (عليها السلام) في صرختها بوجه الظالمين وما كانت تهدف

١- نساء أهل البيت في الحديث والسنة: ٥.

الى تحقيقه ثورة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ومبادئها الحقّة إلى أكبر عدد ممكن من مجتمع الرجال والنساء.

ولكننا نركز على المرأة من منطلق احساسنا - وكما هو الواقع - بأن احياء شعائر الحسين بجميع اشكالها وألوانها ما زالت بحاجة إلى الرعاية والعناية في هذا الإطار، كل ذلك حرصاً منا على أن نضع أمهاتنا وأزواجنا وأخواتنا في خط الإسلام القويم والذي جسده الحسين (عليه السلام) ومن بعده زينب (سلام الله عليها) لنضمن السلامة في الفكر والعقيدة والسلوك ونعم ما قال الشاعر:

هم القوم يروون المكارم عن أبٍ وجِدِ كريم سيد بعد سيد

أقول لمن يروي احاديث ذكرهم أعد واستعد ذكر الكرام وردد (١)

وأخيراً ما أعظم أن تجتمع نساؤنا على مائدة زادها القرآن والسنة النبوية وكلام أهل بيت النبوة، وعطرها ذكر أهل البيت في عصر بلغ حد الجنون في اللهو واللعب والالتحطاط وطغيان قيم المادة العمياء. انها سعادة الدنيا والآخرة أن نكون مصداقاً لقول الإمام الصادق (عليه السلام):
(شييعتنا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا).

دراسات

محطات كربلائية

لم تكن، كربلاء كواقعة مجهولة، فعمقها في الوجود الفكري والوجداني، وفي تفعيل حركة التاريخ، وإلهام الفكر الإنساني، وإطلاق خيال الشعراء والأدباء، عمق الإمام الحسين (عليه السلام) في قضيته، فأدم (عليه السلام) والأنبياء (عليهم السلام) الذين تبعوه أخبروا وأخبروا عن كربلاء، وما سيجري فيها من واقعة دامية تهز الوجود، وسيقف عندها التاريخ طويلاً، فيبدأ منطلقاً منها في كتابة تاريخ الإنسان من جديد وعلى درجة أعلى من الوضوح والتميز بين الحق والباطل والخير والشر والفضيلة والرديلة.

وما أن حل عام واحد وستين للهجرة، حتى أضحت كربلاء أرض العهد والفداء، والتضحية والإيثار، والنبيل والسمو والشموخ، فالدم الحسيني الذي أريق على أرض كربلاء، جعل من هذه الأرض قبلة للأحرار، ومنهجاً للذين تعلقت أرواحهم وقلوبهم في عبودية الله تعالى، فلا إله غيره، وحده لا شريك له، فلم ولن يرضخوا لظالم أو طاغية أو متجبر ولو للحظة.

وهكذا شمخت كربلاء وطاولت أعناق السماء مقتزنة باسم الحسين (عليه السلام) لتتحول إلى أرض مقدسة في الوجدان والعاطفة، ممتدة إلى حيث يمتد الصراع ضد الباطل، وتحتضن الثائرين، فتكون هوية كل رافض لوجود ظالم أو إقرار لظلم.

كربلاء الشعلة المتوقدة التي تنير درب حرية الإنسان وكرامته، وكربلاء الزيت الذي يوجب ويلهب نار الثورة والانتفاضة ضد الطغاة والمتجبرين، وكربلاء الأهزوجة التي خطت بدماء الشهداء والتي أراقوها على مذبح حرية الإنسان، ليرووا الأرض، فتنبت أزهار العدل والقسط والسلام.

إن معرفة كربلاء، معرفة للإنسان بحسنه وقبحه وصدقه وكذبه ونبله ولؤمه، ودراسة كربلاء، دراسة للتاريخ الذي اختزل فيها بسنته وأحداثه وحكمه ومنعطفاته وآثاره، وإن النظر في كربلاء، هو استغراق في رحاب عميقة الأغوار في الفكر والوجدان، في سبيل كتابة المنهج والسلوك للوصول إلى واحة الإيمان والمحبة والسلام.

الجنود والتاريخ

يرجع بعض الباحثين والمؤرخين مدينة كربلاء إلى أصل بابلي، ويقدمون تفسيراً لذلك من خلال اسمها المركب من (كور - بابل) وتغني مجموعة قرى بابلية، وكانت تشمل نينوى والغازية (كربلاء) حسب اللفظ البابلي والنواويس.

ويعيدها آخرون إلى أصل آشوري ويعتمد هؤلاء في تفسيرهم على الاسم أيضاً، وهو مركب من كلمتين

(كرب) وتعني (حرم) و(إيللا) وتعني (الآلهة) وعليه فإنها (حرم الآلهة) أو (كرب - أيللا) ومعناها حرم الله، كما أسفرت الحفريات والتنقيبات الأثرية عن سكن الإنسان في كهوف الطار القريبة من المدينة في العصر الحجري قبل ثلاثة آلاف عام.

وأيضاً يروون: إن كلمة كربلاء مركبة من كلمتين (كار - بالا) بمعنى العمل الأعلى أي: الأعمال السماوية، وبعبارة أخرى، محل العبادة والصلاة.(١)

ولكن أحسن الوجوه هو الذي قاله الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) لأصحابه - حين أخذهم الحر إلى النزول في ذلك المكان - حيث قال (عليه السلام): (أهذه كربلاء؟) فقالوا: نعم، فقال (عليه السلام): (انزلوا هذا موضع كرب وبلاء)(٢).

وبغض النظر عن هذا وذاك فالمدينة وجدت قبل التاريخ وحملت عدة أسماء بمرور الوقت فهي (كربلاء، الطف، الغاضرية، نينوى، عمورة، شاطئ الفرات، طف الفرات، ومشهد الحسين، والحائر). وقد ورد ذكر المدينة في إحدى خطب الإمام الحسين (عليه السلام) وكأنه يستقري الحوادث ويتنبأ بالحدث الجلل القادم الذي ينتظره فقال:

(كأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء).

وبالنظر لقدسية المدينة وصغر حجمها وانعدام وسائل (الترفيه) الحديثة كالسينما والمسارح وغيرها، فقد ازدهرت المكتبات الخاصة والعامة وكانت القراءة والبحث والتتبع هي الوسيلة الأساسية لأبناء المدينة ولذلك قامت مطابع عديدة لطباعة الكتب في المدينة.

وتعتبر كربلاء من أولى مدن العراق التي دخلتها الطباعة فكانت أول مطبعة حجرية تدخل العراق في كربلاء عام (١٢٧٣هـ، ١٨٥٦م) ودخلت في نفس السنة مطبعة أخرى إلى مدينة الموصل، أما بغداد فدخلتها أول مطبعة حجرية عام (١٨٦٠م) أي بعد أربع سنوات من دخولها كربلاء والموصل، واستمر تزايد عدد المطابع في المدينة حتى وصل عددها ثمانية.

وكانت تصدر في كربلاء سبع صحف محلية يومية وأسبوعية بين أدبية وسياسية وواحدة، اقتصادية نصف شهرية وثلاث مجلات أدبية تربوية شهرية ومجلة علمية دينية واحدة وأربع نشرات دينية شهرية لم يبق منها الآن أي شيء.

كربلاء والعمق الحضاري

لقد درجت أمم العالم لأجل تقويم حاضرها وبناء مستقبلها أن تبرز معالم حضارتها، وتوظف في ذلك جهوداً مكثفة وتكرس طاقات ضخمة، خطوة على طريق تجلية ما تؤمن به من قيم ومفاهيم، وعلى ضوء المعلم الحضاري وحجم تأثيره سواء أكان رمزاً أو مدينة أو واقعة فإنه يحظى بالاهتمام الذي يتناسب ودرجة تجسيد ذلك المظهر لمحتواه.

١- العراق قديماً وحديثاً للسيد عبد الرزاق الحسين ص ٢٢٤.

٢- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي.

والإسلام دين اتسع للحياة كلها، بعقيدة تربط الإنسان بالله والكون والحياة، وشريعة تلبي احتياجاته التفصيلية وتنظم على ضوئها علاقاته، من هنا كانت كل مظاهر السلوك الفردي والاجتماعي النابعة من الفكر الإسلامي والمجسدة لمفاهيمه مظاهر حضارية إسلامية.

وباستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ولدت أمة من جديد، لأنها انعطفت نحو الإسلام، وتجسدت مقولة رسول الله (صلى الله عليه وآله): (حسين مني وأنا من حسين) إذ عاد لها حسها بعد أن تبدل، واسترجعت إرادتها بعد أن فقدت، وعلى ضوء ذلك الحسن وتلك الإرادة اهتزت أركان الدولة الأموية وتقلص أمدها. ومثلما شهدت الأمة ولادة جديدة، شهدت كربلاء هي الأخرى ولادة جديدة، ليست ولادة جغرافية بأرضها، باعتبارها أرضاً بابلية، وملتقى لأولى الحضارات الإنسانية القديمة في شمال العراق وجنوبه، ولا ولادة اجتماعية بسكانها على اعتبارها موطن سكن لأقوام سامية، بل ولادة حضارية بما انطوت عليه من المفاهيم العقائدية، وما مثلت من المعاني الإنسانية النبيلة من الحب والخير والبذل والعطاء، وبما زخرت به من صور الشجاعة والاستبسال في تضحية إنسان بحجم الإمام الحسين (عليه السلام) وهو ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابن علي (عليه السلام) وابن فاطمة (عليها السلام) وأخو الحسن (عليه السلام) والأب للأئمة التسعة المعصومين (عليهم السلام).

من هذا المنطلق: (كربلاء المبدأ) (كربلاء الحسين) (عليه السلام)) تجاوزت كربلاء عقدة النعرة المحلية والإقليمية، وأطلقت على الآخرين في كل مكان، ولم يعد بذلك الكربلائيون كربلائين في السكن، وإنما الكربلائيون من يعيشون الإمام الحسين (عليه السلام) مبدأ وثقافة ومنهجاً وموقفاً وتضحية، فقد يعيش البعض كربلاء الأرض لكنهم يعيشون غربه كربلاء العقيدة، فيما يعيش الآخرون كربلاء المبدأ وهم لا يروا أرضها. ولما كانت مدينة كربلاء تحتضن سنوياً ملايين الوافدين الذين يؤمنونها من مختلف بقاع العالم، ليتزودوا من عطائها الروحي الثر، وينهلوا من معينها العذب، فقد زاد ذلك في حقد الظالمين من أعداء الإسلام مما دفعهم لأن يوغلوا بمزيد من الجرائم وبذل أقصى ما أمكنهم في طمس معالمها الحضارية.

وإن هذه الحملة المسعورة التي تشن ضد كربلاء، والتي بدأت منذ أن شرفها الجسد الطاهر للإمام الحسين (عليه السلام) وحتى هذا اليوم، جزء من خطة شاملة تستهدف طمس معالم الإسلام وتشويه صورته الناصعة بكل المناطق، في وقت تتفنن فيه أمم العالم في حفظ وحماية كل ما يرتبط بفكرها وقيمها وحضارتها.

إن كربلاء وبحكم ارتباطها بالإمام الحسين (عليه السلام) مثلت عمقاً حضارياً في العقيدة، هو عمق الإيمان الذي انطلق منه كل الأنبياء وما زخرت به كتبهم، كما مثلت إطلالة إنسانية واسعة هي إطلالة التعبير عن كل عذابات الإنسان ومعاناته وما اكتوى به من نار الظلم والجور والاستبداد، وحيث عاد الإمام الحسين (عليه السلام) منطلق التفكير في المواجهة وأداة تعبير عن الحق، يمنح المتأسين به فكراً ثورياً ويزود الثائرين على طريقه (عليه السلام) سلاحاً للمواجهة، لنلا تخلص الساحة من رواد الحق ومن جند الإيمان مهما كانت إمكاناتهم محدودة ومهما بلغ جبروت الظالمين في مواجهتهم.

لقد شاءت إرادة الله عز وجل أن تشهد أرض كربلاء معركة هي أعنف ما شهده العالم من معارك، من حيث تجلي الحق بأسمى صورة والباطل بأسوأ وأقبح شكل، ومن حيث الاختلاف النوعي بين الصلاح والفساد: (مثلي لا يبايع مثله) ومن حيث التفاوت الشاسع بالعدة والعدد، ومن حيث التفاني المذهل والتضحية القصوى.

الرحالة يتحدثون

كثيرون من الملوك والسلاطين والأمراء والعلماء والمفكرين الذين زاروا كربلاء ليتشرفوا بزيارة مشرفها الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، ليقفوا وبكل إجلال وإكبار لسيد الشهداء (عليه السلام)، ثم لينحنوا وبكل خجل وتواضع ويضعوا تيجانهم ونياشينهم وأوسمتهم عند أقدامه (عليه السلام)، إعلاناً منهم بأن كل هذا لا قيمة له أمام موقف واحد من مواقف الثبات والإقدام والتضحية التي قدمت في عاشوراء.

وكثيرون من المستشرقين والباحثين والرحالة الذي زاروا كربلاء ليشهدوا على عظمة هذه المدينة وطيب نفوس أهلها وحسن أخلاقهم وكرم ضيافتهم.

ومما قالوه في كربلاء:

١- فيليب الكرمل (فرنسا ١٦٠٣-١٦٧١)

وصف أهل هذه المدينة المقدسة بالطيبة والشجاعة، كما وصفهم بشدة التمسك بالدين.

٢- تكسير (زار كربلاء ١٦٠٤)

وسمى كربلاء بـ(مشهد الحسين) وقد أعجب بمناخها، فوصفه بأنه أحسن من مناخ المدن العراقية الأخرى التي شاهدها، ووجد في المدينة المقدسة عدداً من الآبار العامة المشتملة على الماء العذب جداً، وكثيراً من الأشجار، وبينها أنواع تشبه بعض الفواكه الأوروبية.

٣- دلافال (١٥٨٦-١٦٥٤)

زار آثار بابل والكفل ثم كربلاء وامتدح أهلها، غير إنه قال إنهم حذرون تجاه الغرباء.

٤- نيبور (١٧٣٣-١٨١٥)

زار كربلاء عام ١٧٦٥، وقد عقد مقارنة بين كربلاء والنجف فلاحظ إن (مشهد الحسين) أكثر من ناحيتي النخيل والسكان، ومن طريف ما ذكره: كثرة طيور الحمام في (مشهد الحسين) ومساجد كربلاء وعناية الناس بها.

٥- بيرزين (١٨١٨-١٨٩٦)

زار كربلاء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك في عام ١٨٤٣ إثر (وقعة نجيب باشا) الدامية، تلك الواقعة التي نتجت عن انتفاضة المدينة المقدسة ضد السلطات التركية. وذكر إن مدينة كربلاء توازي بسعتها مدناً التي هي مراكز أقضية أما عدد السكان فهو أكثر بكثير مما عندنا.

٦- جيركوف

زار النجف وكربلاء في سنة ١٨٤٩، وقال عنهما:

تشتهر هاتان المدينتان - كربلاء والنجف - عند الشيعة باسم (عتبات الأئمة) وتتوجه إليها ومن جميع البقاع التي يسكنها الشيعة وبدون انقطاع قوافل الحجيج (الزوار) التي لا تعد ولا تحصى وهم يحملون معهم هدايا كثيرة إلى المسجدين من النقود والأشياء، وغالباً ما تكون الهدايا ثمينة جداً، وهم يجلبون معهم جثث موتاهم أيضاً لدفنها في هذه المدينة المقدسة.

٧- لوفتس

وهو من علماء الآثار الإنكليز البارزين، زار النجف وكربلاء في سنة ١٨٥٣، وقد وصف بإسهاب جمال مدخل كربلاء، بوجود بساتين النخيل المنتشرة حولها، ولأن الأبنية الكثيرة المبنية في خارج الأسوار توحى بشيء أكثر من الطمأنينة والأمان بالنسبة لخطر القبائل البدوية.

٨- جون اشرف

وهو رحالة بريطاني، زار كربلاء في سنة ١٨٦٤، وقد لاحظ: إن كربلاء مدينة مزدحمة بالزوار الذين يفدون لزيارة ضريح الإمام الحسين (عليه السلام) وهي تحفل بالنشاط التجاري الملموس. وقد أعجب بكربلاء كثيراً ويقول أنه لم يشاهد فيها معالم الركود والاحتطاط التي تميزت بها معظم مدن العالم الإسلامي المعروفة في عصره.

٩- فوك

وهو رحالة قدم من الولايات المتحدة الأمريكية، صادف وصوله إلى كربلاء من بدء شهر رمضان، فدهش لاهتمام الناس بظهور الهلال، وانبهر لازدحام الناس في الأسواق لتجهيز بيوتهم بما يلزم من مواد تموينية، وذكر أن المساجد فتحت أبوابها بشكل لافت واتسعت حركة المدينة ووصف ليالي شهر رمضان في كربلاء بأنها من أجمل ما رآه في العالم.

١٠- ديولا فوا (فرنسا ١٨٥١-١٩١٦)

وهي أديبة فرنسية، زارت كربلاء في سنة ١٨٨١: وصفت كربلاء باعتبارها من مراكز الشيعة المهمة، وهي تحفل بالمدارس الدينية الكبيرة التي يقضي فيها طلبة العلم عشرين عاماً أو أكثر من أجل الحصول على درجة علمية تؤهلهم لقيادة الناس، والإجابة على المعضلات التي تواجههم في شؤونهم الحياتية والاجتماعية.

كربلاء والأوائل

إن علم الأوائل، علم تعرف به أوائل الوقائع والأحداث، وهو فرع من فروع التاريخ والتاريخ فرع من فروع العلوم النقلية التي هي من جملة المعارف البشرية.

وقد فطر النفس على حب معرفة أوائل الأشياء وبدايات الأمور، فكثيراً ما يتساءل المرء عن أول من فعل كذا وأول من قال كذا.

وقد اهتم المؤرخون في القديم والحديث في التأليف في هذا الباب، أما في العصر الإسلامي فإن علماء المسلمين وضعوا الأصول والمعالم لهذا الفن، ودونوا الأمور تدويناً دقيقاً، فسجلوا أوائل الأحداث وبدايات الأشياء، فكان مادة طيبة يتناقلها أهل التاريخ والسير.

ومن ضمن ذلك تصلح كربلاء مادة من مواد علم الأوائل لكثرة ما احتوت عليه من الأوائل من مختلف الأمور، منذ بدء البشرية وإلى يومنا هذا.

١- قال الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام):

(إن كربلاء وماء الفرات هما أول أرض وماء قدس الله تبارك وتعالى وبارك عليها). (١)

١- بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٤٠.

ولذلك فإن الكثير من الأحاديث تعبر عن أرض كربلاء بـ(قبة الإسلام). وهي أول أرض آمن الله فيها نوحاً والمؤمنين معه.

وكربلاء أول بقعة من الأرض زارتها الملائكة وكان الملكان جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام) يأتون لزيارة هذه الأرض المقدسة.

وهي أول بقعة حصلت على مزية الشرف في الإسلام باعتبارها بقعة مباركة وإنها حرم الله ورسوله، ولذلك فهي الأرض الوحيدة التي جعل الله فيها الشفاء ولو بذرات.

وأول من شفي من مرضه بأكله تراب الحسين هو محمد بن مسلم، وكان من رفقاء الإمام الباقر (عليه السلام). (١)

وأول من شجع على زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء هو الإمام السجاد (عليه السلام) وكان يسميها بالحرم الآمن. (٢)

٢- أول من رأى مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) على أرض كربلاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما جاء جبرئيل (عليه السلام) بقليل من تلك الأرض فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينظر إليها وكأنه ينظر إلى مصرع أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

وأول من وقف على أرض كربلاء وتنبأ بمصرع الحسين (عليه السلام) وأهل بيته هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فكان يشير إلى تلك الأرض وكأنه يشاهد مسرح الأحداث أمامه.

٣- أول من فتح كربلاء عبد الله بن عرفة، وكان بأمر من سعد بن أبي وقاص عندما فتح العراق في عهد الخليفة الثاني.

٤- أول دعاء للإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء:

(اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه لأفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك فكشفتة وفرجته فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة).

٥- أول رام رمى معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) بسهم هو عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد جيش عبد الله بن زياد.

٦- أول ملعون قتل يوم عاشوراء هو عبد الله بن حوزة التميمي حينما جاء مع القوم زاحفاً، وقد دعا الإمام الحسين (عليه السلام) عليه: اللهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة وأقحم الفرس إليه وكان بينهما نهر فسقط عنها وعلقت قدمه بالركاب وأخذت الفرس تضرب به كل حجر وشجر حتى مات. (٣)

٧- أول من استشهد من أهل البيت (عليهم السلام) علي بن الحسين (عليهما السلام) الملقب بالأكبر وكان عمره (٢٧) سنة وكان أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول الله (صلى الله عليه وآله).

١- تاريخ كربلاء، ج ٢، ص ٥٠-٥٢ و ٧٣.

٢- كربلاء شهر حسين، ص ٢٢٨.

٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ٢٧.

- ٨- أول من استشهد في معركة الطف من أصحاب الإمام الحسين هو الحر بن يزيد الرياحي. (١)
- ٩- أول امرأة سقطت شهيدة على أرض كربلاء هي أم وهب زوجة عبد الله بن عمير الكلبي.
- ١٠- أول صارخة بالمدينة على الإمام الحسين (عليه السلام) عندما قتل بكربلاء أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله).
- ١١- أول من أقام العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء من زوجاته (عليه السلام) الرباب: فعن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، قال: لما قتل الحسين أقامت امرأته الكلبيّة مأتماً وبكت عليه سنة كاملة. (٢)
- ١٢- أول زائر لقبر الإمام الحسين (عليه السلام) وذكر الشيخ الطوسي في رجاله، إن أول زائر لقبر الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء هو جابر بن عبد الله الأنصاري.
- ويظهر من استقراء الروايات الواردة في هذا الباب أن جابر بن عبد الله الأنصاري هو أول زائر للقبر في يوم الأربعاء. (٣)
- ١٣- أول رحالة زار كربلاء، الرحالة المغربي المعروف بـ(ابن بطوطة) وذلك في سنة ٧٢٧هـ.
- ١٤- أول من قرأ الشعر على مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) هو عقبة بن عمرو السهمي من قبيلة بني سهم.
- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| إذا العين قرّت في الجنان وأنتم | تخافون في الدنيا فأظلم نورها |
| مررت على قبر الحسين بكربلاء | ففاض عليه من دموعي غزيرها |
| فما زلت أرثيه وأبكي لشجوه | ويسعد عيني دمعها وزفيرها |
- ١٥- أول معترض على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، إذ كتب إلى يزيد بن معاوية:
- أما بعد فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة وحدث في الإسلام حدث عظيم.
- ١٦- أول صيحة صيحت بشكل جماعي واحد عند قبر الإمام الحسين (عليه السلام) هي صيحة أصحاب سليمان بن صرد الخزاعي.
- ١٧- أول واقعة حرب وقعت للثأر لدم الإمام الحسين (عليه السلام) هي واقعة عين الورد التي حدثت بين الجيش الذي قاده سليمان بن صرد الخزاعي وجيش عبد الله بن زياد المتكون من عشرة آلاف جندي، وكانت هذه الحادثة أول حركة للتوابين والثائرين. (٤)
- ١٨- أول حملة على قتلة الحسين (عليه السلام) في كربلاء هي الحملة التي قاما بها المختار سنة ٦٥هـ. (٥)

١- تراث كربلاء، ص ٢٦٢.

٢- كربلاء شهر حسين، ص ١٣٧.

٣- موسوعة العتبات، ج ٨، ص ٢٥٧.

٤- كربلاء شهر حسين، ص ١٤٩.

٥- كربلاء شهر حسين، ص ١٥٣.

(

- ١٩- أول من بنى قبر الإمام الحسين (عليه السلام) هم بنو أسد.
- ٢٠- أول من بنى القبة على قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، هو المختار الثقفي.
- ٢١- أول رواق بني في الحرم الحسيني في زمن عضد الدولة، هو الرواق المعروف برواق السيد إبراهيم المجاب وبناه عمران بن شاهين أمير البطائح.
- ٢٢- أول منذنة في الحرم الحسيني كانت منذنة العبد، وبناها أمين الدين أولجائي، وكان والياً على بغداد من قبل السلطان اويس الايلخاني سنة ٧٦٧هـ.
- ٢٣- أول من هدم قبر الحسين (عليه السلام) المنصور الدوانيقي
- ٢٤- أول من عاقب على زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وهدد الزوار بفرض عقوبات صارمة عليهم وهددهم بالقتل هو المتوكل العباسي سنة ٢٣٦هـ.
- ٢٥- أول عهد لإدخال الذهب على عمارة الحرم الحسيني سنة ٩١٤، حينما جاء الشاه اسماعيل الصفوي لزيارة الحرم الحسيني وأمر بتذهيب حواشي الضريح.
- ٢٦- أول من ذهب قبة الحسين (عليه السلام) السلطان آقا محمد خان رأس الأسرة القاجارية الملكية في إيران.
- ٢٧- أول من خدم الحرم وحرسه وقد افتخر بذلك هو علي بن أبي داود.
- و أول سادن تولى الروضة الحسينية المقدسة من العلويين هم آل إبراهيم المجاب.
- ٢٨- أول من نهب الأموال المخزونة للحسين (عليه السلام) هو المتوكل.
- ٢٩- أول واقعة قتل ضخمة حصلت بعد واقعة كربلاء، حيث راح ضحيتها الآلاف من سكة كربلاء بين شهيد وجريح، هي تعرض الوهابيين لأهل هذه المدينة ومقدساتها بالقتل والنهب والتخريب.
- ففي عام ١٢١٦هـ جهز سعود بن عبد العزيز بن سعود بن محمد الوهابي النجدي جيشاً من عرب نجد، وغزا به العراق وحاصر مدينة كربلاء مغتنماً فرصة غياب جلّ أهلها في النجف الأشرف لزيارة مرقد الإمام علي (عليه السلام) بمناسبة يوم الغدير، ثم دخل بها عنوة وأعمل في أهلها السيف، فقتل ما بين أربعة إلى خمسة آلاف من الشيوخ والأطفال والنساء، ولم ينج منهم إلا من تمكن من الهرب أو اختبأ في مخبأ.
- ثم نهب الحضرة الحسينية وأخذ جميع ما فيها من فرش وقناديل وغيرها وهدم القبر الشريف واقتلع الشباك الذي عليه وربط خيله في الصحن الطاهر، ثم كرّ راجعاً إلى بلاده.
- ٣٠- أول من بنى سوراً لكربلاء في عام ١٢١٧هـ بعد غارة الوهابيين، هو السيد علي الطباطبائي المشهور بصاحب الرياض.
- ٣١- أول سلطان دفن في كربلاء في عام ٩٥٧هـ هو ظاهر شاه من أمراء الهند وملكها.
- ٣٢- أول وزير دفن في المشهد الحسيني هو أبو العباس الكافي الوزير بالري، وكان قد أوصى قبل موته أن يدفن في مشهد الإمام الحسين (عليه السلام).
- ٣٣- أول من مثل واقعة كربلاء وأشاع التمثيل فيها هو العلامة المجلسي الذي هو أكثر العلماء إطلاعاً على

الأخبار وكلمات الفقهاء، وكل من جاء من بعده من علماء البلاد أمضى فعله ولم ينكر عليه. (١)

كربلاء والقيادة المرجعية

كان لعلماء كربلاء والنجف والكاظمية دوراً قيادياً في التعبئة التي سبقت انطلاق ثورة العشرين، ولكن الدور الأساسي يعود إلى آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي، هذا العالم الديني الذي أطلق عليه بصدق (قائد ثورة العشرين) وقد تسلم منصب (المرجعية) خلفاً للسيد اليزدي المتوفي في نيسان ١٩١٩.

ومنذ بروز دور (مرجع التقليد) والذي تجسد بالشيخ محمد تقي الشيرازي، خلال القرن التاسع عشر وقد اكتسب مكان إقامة (المرجع الأعلى) أهمية خاصة.

ولقد اختار المرجع محمد تقي الشيرازي الإقامة في كربلاء عام ١٩١٩، وقد جعل من هذه المدينة المقدسة العاصمة الجديدة للشيعة في العالم الإسلامي. ومن كربلاء أطلق الشيخ محمد تقي الشيرازي فتواه الشهيرة في الثالث والعشرين من كانون الثاني عام ١٩١٩، هذه الفتوى التي حرم فيها على المسلم أن يختار غير المسلم لحكم البلاد بفتواه الشهيرة: (ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين).

ولقد كانت هذه الفتوى الرد الشيوعي على الاستفتاء السوري الذي نظمه البريطانيون في ١٩١٨ - ١٩١٩، والذي أريد فيه استشارة العراقيين حول مستقبل بلادهم التي خرجت من الفلك العثماني.

وعندما توفي السيد اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩ اعتبر الشيخ محمد تقي الشيرازي بالاجماع كمرجع أعلى جديد في كربلاء التي أصبحت بذلك عاصمة التشيع في لحظة حاسمة من تاريخ العراق.

لقد مثلت كربلاء والمرجعية العليا التي مثلها الإمام الشيرازي، مركز الاستقطاب لأكثر مواقع وجبهات الثورة والقوى المعارضة للاحتلال البريطاني، وهو موقع لم تدعيه أو تتصدى له أية مدينة، أو أي مرجعية سياسية أو دينية في مواقع الثورة وجبهاتها المتعددة الأخرى.

وإذا تناغمت صور الجهاد ضد الظالمين من خلال ثورة العشرين. مع صور الجهاد ضد الظالمين في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، فإن كربلاء ستبقى في مسيرة التاريخ والزمن المطلق، نبراساً للصمود والجهاد ضد الظلم والظالمين.

ولم يتوقف عطاء الأسرة الشيرازية الكريمة المتدفق في خدمة الإسلام والمسلمين ومذهب أهل البيت (عليهم السلام).

فبعد أن توفي آية الله العظمى الميرزا محمد تقي الشيرازي (قدس سره) بالسقم، سار على ذلك النهج من بعده آية الله العظمى السيد الميرزا عبد الهادي الشيرازي (قدس سره) عام ١٣٨٠ هـ وقد ساهم في عدة قضايا مرت بالعراق منذ الاحتلال إلى الاستقلال، كما أصدر فتواه الشهيرة ضد التيار الأحمر فكان لها أكبر الأثر.

ولأن الشهادة للثانين والأحرار عزة وكرامة، فقد توج جهاد آية الله السيد حسن الشيرازي بشهادة سعيدة. وما أن توجهت أنظار الأمة للإمام الشيرازي حتى بدأت مرحلة جديدة في الجهاد، وهو الجهاد على كافة

١- تنقيح المقال في عالم الرجال، ترجمة العلامة المجلسي.

المستويات العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فمثلما بذل كل ما في وسعه في تلك المجالات المختلفة، فقد كان بذله وعطاؤه زائداً وكبيراً ومتألقاً، وكان التجديد والإصلاح سمات جهاده هذا، والإرادة الصلبة والعزيمة التي لا تلين هي عنوان أعماله وأقواله، وكان لابد لهذا التوجه من ردود أفعال من قبل الطغاة والمستبدين، فاضطر أن يهاجر إلى الكويت، وقد حكم عليه بالإعدام من قبل السلطة الحاكمة في العراق. ثم هاجر الهجرة الثانية إلى إيران، ومن هناك، أخذ يتحف الأمة بالمؤلفات القيمة التي شملت كل تفاصيل الحياة، حيث كتب الإمام الشيرازي في كل ما يعطي لحياة الإنسان معنىً وقيمة، حيث صدق الكلمة ورفض الظلم والجهاد المتواصل والهدف السامي وسلامة المنهج وأصالة الفكر ونبل الأخلاق والخط الحسيني.

وهكذا سجلت كربلاء بهذه الأدوار الرائدة من خلال أسيرة الشيرازي الشريفة وبأغصانها الكريمة، أروع صفحات الصمود والجهاد، من أجل حقوق الشعوب ومصير بلاد الإسلام.

وستظل كربلاء زائرة بالمواقف والثبات بالعطاء، وستظل أسيرة الشيرازي مستمرة في خطها الحسيني، وإن شاءت الأقدار أن يكونوا بعيدين عن كربلاء، فقد جعلوا من كل أرض يحطوا فيها أرض كربلاء.

من كلمات

المرجع الديني آية الله العظمى السيد

صادق الشيرازي (دام ظله الشريف) في الإمام الحسين (عليه السلام)

- لقد جعل الله سبحانه وتعالى للإمام الحسين (عليه السلام) مقاماً خاصاً لم يجعله حتى لجدّه وأبيه حتى لأمه وأخيه الذين هم أفضل منه.

- ان المتصدي الوحيد لحساب المؤمنين والمسلمين والكفار والمشركين والملحدين وبجميع فئاتهم هو الإمام الحسين (عليه السلام)، ويكون هذا الحساب كمياً وكيفياً وحسب اختلاف الناس، فنحن سنقف غداً والمحاسب هو الإمام الحسين (عليه السلام)، وتوجد رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام): ان الذي يلي أمر حساب الناس قبل يوم القيامة هو الحسين (عليه السلام) وأما يوم القيامة فانما هو بعث الى الجنة وبعث الى النار.

- ان هناك اناس يشكرهم الإمام الحسين (عليه السلام) وقبله السيدة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إذ تشكر (عليها السلام) هؤلاء الناس، الذين يتصدون لخدمة الإمام الحسين (عليه السلام) وعزانه وشعانه، ونسأل الباري تعالى أن نكون منهم.

- ان من خصائص الإمام الحسين (عليه السلام) العبرة والعبرة، وكل من يستفيد من هذه العبرة ويكثر من هذه العبرة سيكون أقرب للإمام الحسين (عليه السلام) في الدنيا، وفي الآخرة حين يقف للمحاسبة من قبل الإمام الحسين (عليه السلام) سيكون في مأمن وتقدير واحترام.

- لقد جعل الله سبحانه وتعالى من شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) شخصية استثنائية بحيث مهما اجتهد ائمة الكفر على طمس معالمها، تزداد قوة ونوراً وانتشاراً.

- على الهيئات الدينية المرتبطة بسيد الشهداء (عليه السلام) ان تتوجه الى ما يريده الإمام الحسين (عليه السلام) منهم، ومن المعلوم ان بين ما يريده الإمام الحسين (عليه السلام) ومقامه السامي هناك تناسب، لذا يجب ان يتناسب ما يُبذل للإمام (عليه السلام) مع مقامه الشريف.

- شجعوا الشباب وجميع الناس لحضور شعائر الإمام الحسين (عليه السلام)، اذهبوا ورائهم، لا تسينوا اليهم، بأي طريق، اجلبوهم الى الشعائر.

وعليكم ان تعدوا جوابكم إذا سنلکم الإمام الحسين (عليه السلام) يوم القيامة عن عدم سعيكم وتشجيعكم لجلب الناس للشعائر.

- ان كل شيء مرتبط بالإمام الحسين (عليه السلام) من الشعائر الحسينية، فالمتبرع بالمال، والبكاء، وفي عالمنا المعاصر، الراديو والتلفزيون والفضائيات والانترنت، كل هذه من مصاديق احياء امر الحسين (عليه السلام)، وفي الرواية: (فلا يزداد إلا ظهوراً وأمره إلا علواً). فلا نستصغر أمراً من أموره (عليه السلام) حتى

العَلَم المعلق على باب بيتكم مكتوب فيه (يا حسين) وحتى الورقة التي يكتب فيها الطفل (يا حسين) ويلصقها في بيته، كل هذا من مصاديق علو الأمر.

- لا تجعلوا شعائر الإمام الحسين (عليه السلام) مكاناً للخلاف والنزاع واجعلوه مكاناً للاجتماع والائتلاف والمحبة.

- ان بين أيدينا خصائص كثيرة جداً للإمام الحسين (عليه السلام)، وان هناك خصائص أخرى لم تصلنا أصلاً وهي أكثر مما بين أيدينا حيث أحرقت الكثير من الكتب الفريدة في قضايا تاريخية وأضيعت واطلقت بسبب الحكام الجانرين والتعتيم الإعلامي على الشيعة وقضايا الإمام الحسين (عليه السلام) ولكن مع كل ذلك الذي بأيدينا كثير. - إن التضحية في سبيل مشروع الإمام الحسين (عليه السلام) هي تضحية عظيمة أدى رسالتها آبائنا واجدادنا أولئك الذين استخدمت ضدهم مختلف أساليب القهر والعدوان والإرهاب وتقطيع الأرجل والأيدي وسمل العيون.

- ان عظمة مجالس العزاء لا تكمن في بعدها الديني بل تتعداه إلى جميع المستويات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية.

مشاركات القراء

موعد مع الحقيقة

يعيش الإنسان في خضم غمراتها بين المد والجزر ويستخلص منها العبر والدروس وهكذا تسير عجلة الحياة.

وتجد أن لكل حقيقة خيال يصوره الإنسان في مخيلته أو في عقله الباطني والتي تعبر عن تلك الحقيقة المادية التي ربما لم يراها من قبل، ولكن للقواعد مفارقات وللسائد شواذ فترتسم صور حقيقة ما في عالم الخيال لديك وتحكي هذه الصورة الخيالية تلك الحقيقة.

لربما ان إنساناً يسمع بفرد من الأفراد فترتسم صورة خيالية لديه بشكل أو بآخر والموعد هو اصطدام الخيال بالحقيقة فتكون المواجهة لمن الغلبة للخيال أم للحقيقة فمن هو الأكمل ومن هو الأوسع في رسم الحقيقة ذاتها. فهناك فرق بين السمع بالفرد دون رؤيته وخيال النفس غير الحقيقة، وهذه بداية المقولة.

منذ بداية شبابي سمعت بهذه الشخصية التي ارتأت نفسي أنها متميزة عن غيرها وبدأت في رسم صورة خيالية لتلك الشخصية بما يصوره الإنسان في عقله الباطني.

عاش خيال هذا السيد الجليل في مخيلتي عبر سنين طوال وكانت تأخذ كل يوم حيزاً أكبر وأكبر عن اليوم الذي مضى.

ومرت السنوات الطوال وكلي شوق لأواجه الاثنين ببعضهما البعض، وفي آخر السنة المنصرمة كان ذلك الموعد وأي موعد؟ موعد مع الحقيقة.

سافرت لتلك الديار ونزلت قم المقدسة وكلي شوق للقاء المرتقب الذي يلازمي سنين طوال، وفي صبيحة ذلك اليوم كانت الخطوة الأولى فاصطحبت أبني الصغير محمد والذي كان يردد اسم السيد الجليل دائماً، ووصلت إلى ذلك البيت المتواضع وأخذت أتأمل هل يسكن هذا الرجل بهذا المنزل المتواضع فطلبت الإذن بالدخول فرحب بي من كان حاضراً، واصطحبني إلى غرفة صغيرة ثم قال لي أن السيد يجلس في هذه الغرفة تفضل.

وأي موقف أنا فيه وأي حيرة فيها، وبدأت المواجهة ودخلت تلك الغرفة الصغيرة وسلمت على من كان جالس وأخذت بنظري في أرجاء الغرفة حتى أرى تلك الحقيقة ويالبعد تلك الحقيقة، فبالكاد تميزه بين جلساءه، فقبلت تلك اليد وأنا في خيال واسع وتقدم له أبني محمد وسلم عليه فسأله عن اسمه فقال له اسمك مثل اسمي والشعر الباسم يملئ وجهه.

وجلست بجانبه وترك من كان جالس معه ثم أخذ يسألني عن اسمي وعن بلدي وعن عملي ودارت الأحاديث.

فأخذت أتردد مع ابني لزيارة هذا الطود من الخلق والنبل لعدة أيام ومأحلاها من أيام وبعد مضي الأيام

القلائل في تلك البقعة الطاهرة انتابني شعور بأن يكون آخر من أزورهم ذلك السيد وذلك قبل موعد السفر بساعة فقط.

وذهبت لوداعه وأنا أحمل بين يدي الكاميرا لتبقى الذكرى الخالدة فوقفت أنا وأبني أمام ذلك العملاق في الخلق، وكان أبني يصر على أن أحتفظ بصورة له مع هذا السيد لتبقى الذكرى للأبد، وكان لله قدراً أنني لن أرى هذا السيد مرة أخرى ومنحني الفرصة الأولى والأخيرة لرؤيته، أما أبني محمد فكانت الذكرى الخالدة له مع هذا النبيل وبعد تلك اللحظات التي لا تنسى قبلت يده واستأذنت في السفر وطلبت منه الدعاء.

فنظرت نظرة فاحصة لتلك الحقيقة فقالت لي نفسي: أي رؤيا اتسمت في نفسك يا أبا محمد أن الخيال أقل من الحقيقة والأعجب أن الحقيقة نفسها أكثر بعداً من الحقيقة ذاته.

أبو محمد هادي - المملكة العربية السعودية - الأوجام أنتظرونا في المقالة التالية والصور أبلغ تعبيراً من سطور الكلمات.